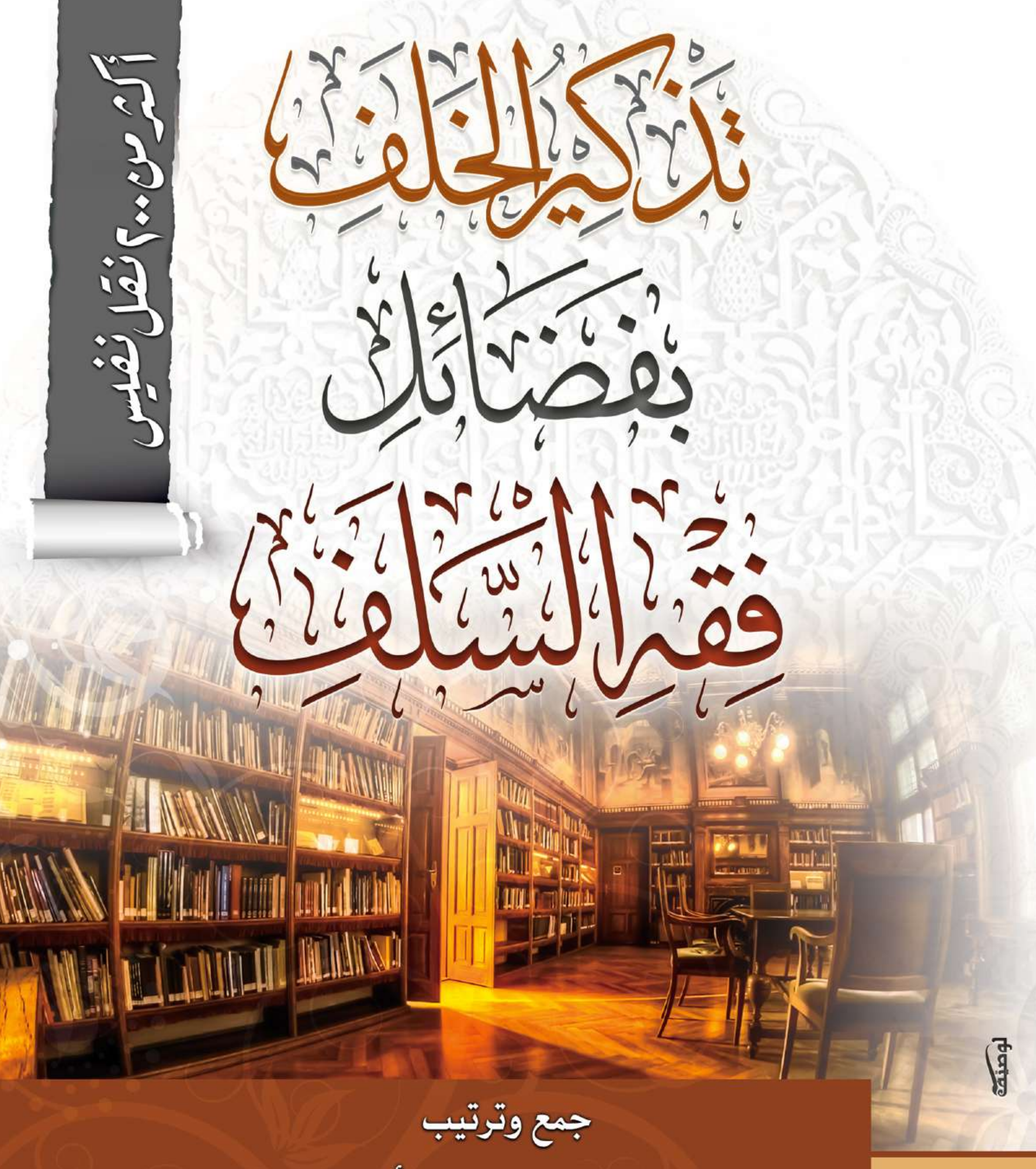


جمع وترتيب

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

عفا الله عنه

وقف للأخ الكريم سالم بن عبدالرحمن بن سالم العنزي حفظه الله

مشروع تقريب فقه السلف للخلَف

تذكير الخَلَف

بفضائِل

فِقه السَّلف

جمع وترتيب

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

عفا الله عنه

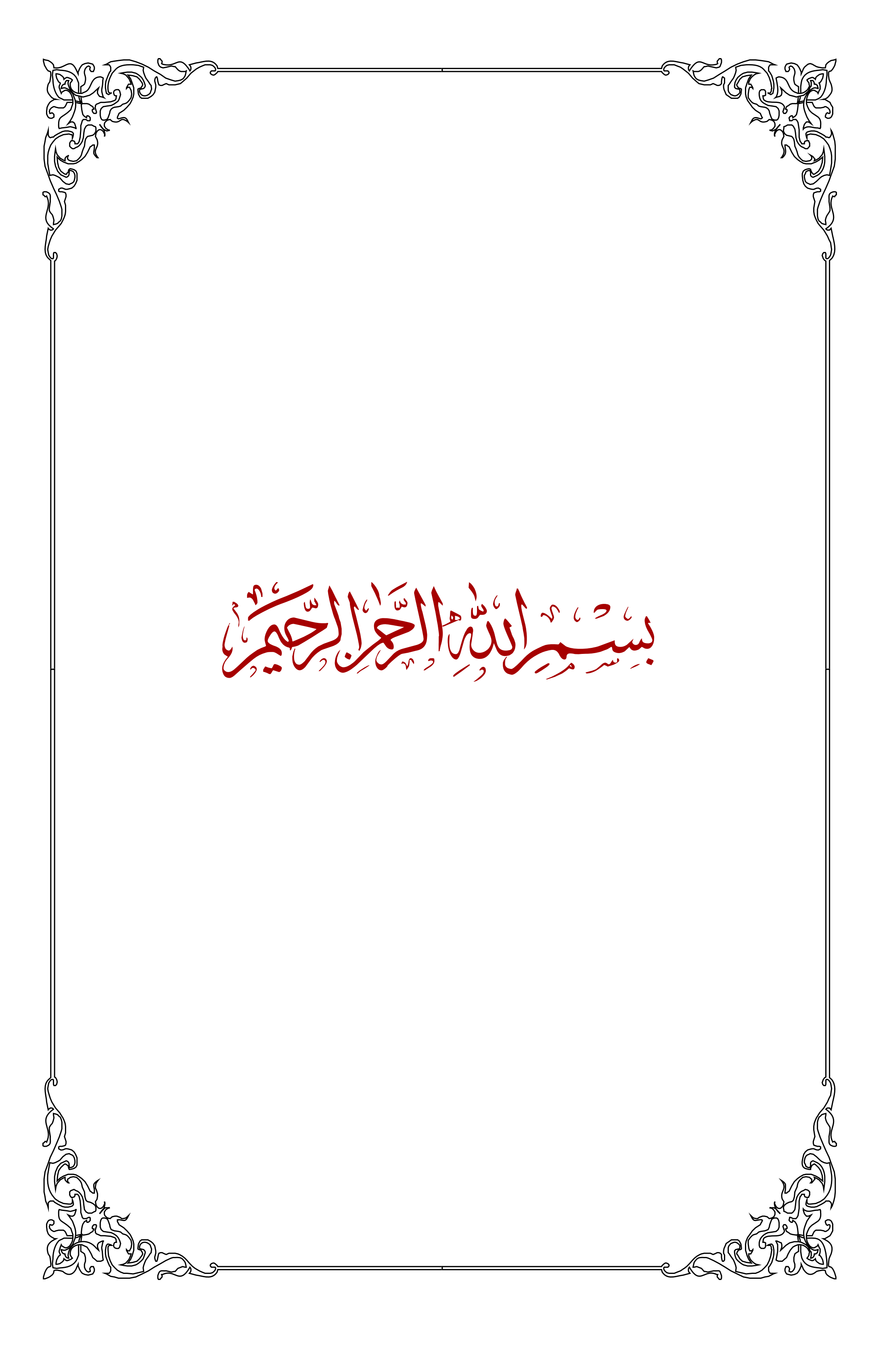
مدينة حائل ٢٠/٦/١٤٤٣هـ

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما أن الغيث يُحيي البلد الميّت، فكذا علوم الدِّين تُحيي القلب الميّت). [فتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٧)]

وقال الحافظ الكبير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يُعدِّد الشُهداء: (ويدخلُ في ذلك: كلُّ من نفعَ المسلمين فيهِ بتعليم خيرٍ). [الأحكام الكبير (١/ ٣٩١)]

وقال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾:

(من شرع في طلب العِلم يُريد بذلك ما يريده المخلصون في طلب العِلم: من حفظ الشريعة، والدفاع عنها، ونفع الخلق، ثم أدركه الموت، فإنه يُكتب له ما نوىٰ). [تفسير سورة النساء (٢/ ١٢٩)]


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، أما بعد:

فلا يخفىٰ علىٰ طالب الحق ما لِفقه السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وفهمهم للأدلة الشرعية، من الفضائل الكثيرة في النصوص العديدة من القرآن والسُّنة وأقوال أهل العِلم العتيقة.

أقول هذا: لأن معرفة الإنسان بالشخص من الأسباب التي تُعين علىٰ الأخذ بآثاره وأخباره وأقواله وكُل ما يتعلَّق به، والعكس بالعكس فافهم.

قال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحَرِيٌّ بمَنْ عَمِي عن معرفة قوم، أن يكون عن علومهم أعمىٰ وأضلّ سبيلًا)[١].

(١) مراتب النحويين واللغويين ص١٩.

وقال العلامة صدِّيق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد ذكر غير واحد من العُلماء، كابن فهد المكي وغيره رحمهم الله، أن الاشتغال بنشر أخبار الأخيار من أهل العِلم والآثار، من علامات سعادة الدُّنيا وسيادة الآخرة، إذ هُم شهود الله في أرضه، ولهم المراتب الفاخرة)[1].

وهذه نُبذة جليلة ويَسيرة أسوقها إليكم أحِبَّتي: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾، في بيان فضائل خير الناس بعد الأنبياء والرُّسل بالإجماع، وبيان فضل علومهم وفقههم وشيء من آدابهم، فلنبدأ علىٰ بركةِ الله.



(١) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ص٨.

الأدلة من الوحيين على فضلهم

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وجه الدلالة أن الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ من اتبعهم، فإذا قالوا قولًا فاتّبعهم مُتَّبعٌ عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محمودًا علىٰ ذلك، وأن يستحق الرضوان)[١].

وقال أيضًا سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) إعلام الموقعين (٥/٥٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد شهد الله لأصحاب نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن تبعهم بإحسان بالإيمان، فعُلم قطعًا أنهم المراد بالآية الكريمة ....، فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم، ولاه الله ما تولىٰ، وأصلاه جهنم، فمن سبيلهم في الاعتقاد: الإيمان بصفات الله تعالىٰ وأسمائه)[1].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢) بتصرف يسير.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لمّا وصف سبحانه عباده المصطفين، صحابة نبيه، والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكريم عشرته ....، فأثنىٰ سبحانه عليهم، وذكر وصفه تعالىٰ بذلك في التوراة والإنجيل، وهذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها، وجرت علىٰ واضح قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه)[1].

وصحَّ في الأحاديث النبوية: من قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[2].

(١) نظم الدرر (١٨/ ٣٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٥٣).

وقوله: (النجومُ أمنةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ السماءَ ما توعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي، أتىٰ أمتي ما يوعدون)(١).

وقوله: (عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديّين، عضُوا عليها بالنواجذ)(٢).

وقوله: (لا تزالون بخير ما دام فيكُم مَنْ رآني وصاحَبني، والله لا تزالون بخير ما دامَ فيكُم مَنْ رأىٰ مَنْ رآنِي وصاحَبَ مَنْ صاحَبني، والله لا تزالون بخير ما دامَ فيكُم مَنْ رأىٰ مَنْ رأىٰ مَنْ رآنِي، وصاحَبَ مَنْ صاحَبَ مَنْ صاحبني)(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٦٦٢٩).

(٢) رواه الترمذي في سُننه برقم (٢٦٧٦) وصححه.

(٣) السلسلة الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ برقم (٣٢٨٣).

وأرشد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأُمة إذا تفرّقت، وأصبح كُلّ حِزب بما لديهم فرحون، إلا حِزبًا واحدًا هو: (ما أنا عليه وأصحابي)[١].

وقال الثقة الزاهد يوسف بن أسباط الشيباني الكوفي (ت ١٩٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (أصول البدع أربع: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون الجماعة، التي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنها الناجية)[٢].

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (صلَّينا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصُبح، قال: فبينما هو في الصلاة، مدَّ يده ثم أخَّرها، فلما فرَغ من الصلاة،

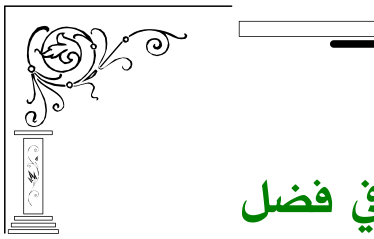
(١) رواه الترمذي في سُننه برقم (٢٨٥٣) وحسّنه الألباني وصحّحه جماعات من العُلماء.
(٢) الشريعة للآجُرِّي (١/ ٣٠٤) برقم (٢٠) وسنده حسن.

قلنا يا رسول الله: صنعت في صلاتك هذه ما لم تصنع في صلاة قبلها، قال: إني رأيتُ الجنة قد عُرضت عليَّ، ورأيتُ فيها قطوفها دانية حبُّها كالدُّباء، فأردتُ أن أتناول منها، فأُوحِيَ إليها، أن استأخري فاستأخرت، ثم عُرضت عليَّ النار بيني وبينكم، حتىٰ رأيتُ ظِلي وظلّكم، فأومأتُ إليكم أن استأخروا، فأُوحِيَ إليَّ أن أقرَّهم، فإنّك أسلمتَ وأسلَمُوا، وهاجَرت وهاجرُوا، وجاهَدت وجاهدُوا، فلم أر لي عليكم فَضلًا إلَّا بالنبوة)[١].

قلتُ: هذا الحديث الجليل فيه فضيلة عظيمة للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، من الإسلام والجهاد والهجرة وغيرها، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُضِّل عليهم بالنبوة فقط، ويكفينا شهادة رسول الله لهم بذلك.



(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٨٩٢)، وصححه الحاكم والذهبي وغيرهما.





أقوال الأئمة في فضل فهم السَّلف وفقههم

قال معاوية بن قُرة المزنيُّ التابعي (ت ١١٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لو أنَّ أَدنَىٰ هذه الأُمَّة عِلمًا أخذَت أُمَّةٌ مِن الأُمَم بِعِلمِهِ، لرَشَدت تِلكَ الأُمَّة)(١).

وقال الفقيه إبراهيم بن يزيد النخعي التابعي (ت ٩٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لقد أدركتُ أقوامًا لو بلَغني أنَّ أحدهُم توضّأ علىٰ ظُفرِهِ لم أُعِدْهُ)(٢).

(١) مسند الدارمي برقم (٣٩٦) وسنده صحيح، قلتُ: وهذا من الآثار العجيبة والتي توضّح مدىٰ عظمة علوم المسلمين وتقدّمهم في شتىٰ المجالات الدينية والدنيوية، فيا ليت يعرف المسلم قيمة دينه وعِلمه بين الأُمم ويعتز به ويفخر بذلك

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد برقم (٢١٣٠) وسنده صحيح.

ومعنىٰ أُعِدْهُ أي: لم أُعِد ذلك الوضوء، ويحتمل أن يكون معناه: لم أَعْدُهُ أي: لم أتجاوزه وأفعل كما فعلوا تمامًا، فإذا كان فقيه الكوفة في زمانه، وأحد فحول عُلماء الدِّين والدُّنيا، يقول هذا في الصحابة وكِبار التابعين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين، ويحرص هذا الحرص الشديد والمبالغ فيه، في اتباعهم والحرص علىٰ اقتفاء آثارهم، فماذا نقول لمن هجر أقوالهم وحاد عن آثارهم وأخبارهم؟! بل وتمسّك بأقوال من بعدهم بأزمان بعيدة، وعضّ عليها بالنواجذ!!

وفي لفظ، قال: (لو رأيتُ الصحابة يتوضؤون إلىٰ الكوعين لتوضّأت كذلك، وأنا أقرأها إلىٰ المرافق، وذلك لأنهم لا يُتهمون في ترك السُّنن، وهم أرباب العِلم، وأحرصُ خلقِ الله علىٰ اتباع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فلا يَظن ذلك بهم أحد إلا ذو ريبة في دينه)[1].

(١) الجامع في السُّنن والآداب والمغازي والتاريخ لعبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ)، ص١١٨، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٣هـ.

وقال العلامة السفاريني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المرادُ بمذهب السَّلف: ما كان عليه الصحابةُ الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمةُ الدِّين، ممن شُهد لهُ بالإمامة، وعُرف عِظَم شأنه في الدِّين، وتَلقىٰ الناس كلامهم خَلَفٌ عن سلفٍ)[١].

وقال الإمام ابن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجعل أمام القول: إيعاز النصيحة إلىٰ إخواني المسلمين بأن يتمسَّكوا بكتاب الله، وسُنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباع السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين)[٢].

وقال عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السَّلف الصالح كالصحابة والتابعين)[٣].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠).

(٢) الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٦٣) ط: عادل الغامدي.

(٣) القواعد الكُبرىٰ (١/ ٣٠٥).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مذهب السَّلف لا يكونُ إلّا حقًّا).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كُلما كان الرجل إلىٰ السَّلف والأئمة أقرب، كان قوله أعلىٰ وأفضل).

وقال أيضًا: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسُّنة وما اتفق عليه أهل السُّنة والجماعة من جميع الطوائف، أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة، أن خيرها: القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة، من عِلم وعَمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولىٰ بالبيان لكل مُشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضله الله علىٰ عِلم)(١).

(١) هذا وما قبله في مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٤٩ و١٥٧)، والرسالة التدمرية ص٨٠.

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، وكلٌّ من الصحابة منيبٌ إلىٰ الله فيجب اتباع سبيله، وأقوالُه واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل علىٰ أنهم مُنيبون إلىٰ الله تعالىٰ، أن الله تعالىٰ قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، فأخبر تعالىٰ أن من اتّبع الرسول يدعو إلىٰ الله، ومن دعا إلىٰ الله علىٰ بصيرة وجب اتباعه، لقوله تعالىٰ فيما حكاه عن الجن ورضيه: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾، ولأن من دعا إلىٰ الله علىٰ بصيرة فقد دعا إلىٰ الحق عالمًا به، والدعاءُ إلىٰ أحكام الله دعاءٌ إلىٰ الله، لأنه دعاء إلىٰ طاعته فيما أمر ونهىٰ، وإذن فالصحابة رضوان الله عليهم قد اتبعوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجب اتباعهم إذا دعوا إلىٰ الله . . . .، قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اصبر نفسك علىٰ السُّنة، وقف حيث وقف القوم، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفوا، ولو كان هذا خيرًا ما خُصصتم به دون أسلافكم،

فإنهم لم يدخر عنهم خير خبِّئ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي عنهم، الذين اختارهم الله له وبعثه فيهم ووصفهم فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ الآية، وأنه لم يزل أهل العِلم في كل عصر ومصر يحتجون بما هذا سبيله من فتاوىٰ الصحابة وأقوالهم، ولا ينكره منكر منهم، وتصانيف العلماء شاهدة بذلك، ومناظراتهم ناطقة به، قال بعض علماء المالكية: أهل الأعصار مجمعون علىٰ الاحتجاج بما هذا سبيله، وذلك مشهور في رواياتهم وكتبهم ومناظراتهم واستدلالاتهم، ويمتنع والحالة هذه إطباق هؤلاء كلهم علىٰ الاحتجاج بما لم يشرع الله ورسوله الاحتجاج به ولا نصبه دليلًا للأمة، فأي كتاب شئت من كتب السلف والخلف المتضمنة للحكم والدليل وجدت فيه الاستدلال بأقوال الصحابة، ووجدت ذلك طرازها وزينتها، ولم تجد فيها قط ليس قول أبي بكر وعُمر حجة، ولا يُحتج بأقوال أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا فتاويهم، ولا ما يدل علىٰ ذلك، وكيف يطيب قلب عالِم أن يقدّم علىٰ أقوال من

وافق ربه تبارك تعالىٰ في غير حكم فقال وأفتىٰ بحضرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل القرآن بموافقة ما قال لفظًا ومعنىٰ قولَ متأخر بعده ليس له هذه الرُّتبة ولا ما يُدانيها؟ وكيف يظن أحد أن الظن المستفاد من آراء المتأخرين أرجح من الظن المستفاد من فتاوىٰ السابقين الأولين، الذين شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التأويل، وكان الوحي ينزل خلال بيوتهم، وينزل علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بين أظهرهم؟ . . . . ، فكيف يكون أحد من الأمة بعدهم أولىٰ بالصواب منهم في شيء من الأشياء؟ هذا عين المحال)(١).

(١) إعلام الموقعين (٥/ ٥٦٧)، (٦/ ٢٩) بتصرف يسير، **وقوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكيف يطيب قلب عالِم أن يقدّم علىٰ أقوال من وافق ربه تبارك تعالىٰ في غير حكم)**، **قلتُ**: وهذا حقٌّ ولي مؤلف مخطوط باسم: (فصل الخطاب بموافقات الصحابة لربِّ الأرباب)، جمعت فيه أسماء تسعة من الصحابة بأسانيد صحيحة، **وافقوا الوحي قبل نزوله** وهم: أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وسعد بن معاذ وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عُبيد الله وأبي عبيدة بن الجراح وأبي قتادة الأنصاري وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة: (رواها السَّلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس عِلمًا، وأوسعهم فَهمًا، وأقلَّهُم تكلُّفًا، ولم يكُن سكوتُهم عن عِيٍّ، فمن لم يسعهُ ما وسِعهُم، فقد خاب وخسِر)[١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصحابة: (إنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها عِلمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم وربِّ الكعبة علىٰ الهُدىٰ المستقيم)[٢].

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عليك بالأثر وطريقة السَّلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة)[٣].

(١) جامع بيان العِلم وفضله (٢/ ٩٤٥).
(٢) جامع بيان العِلم وفضله (٢/ ٩٤٦).
(٣) ذم الكلام وأهله للهروي برقم ١٠١٥.

وقال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العِلمُ ما جاء عن أصحاب محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما لم يجئ عن واحدٍ منهم فليس بعِلمٍ)[1].

وكان الإمام المبجل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (أصول السُّنة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحابُ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع)[2].

قلتُ: لذلك أصبح المذهب الحنبلي هو أقرب المذاهب الفقهية للسُّنة النبوية، وقد نصَّ علىٰ ذلك أهل العِلم.

قال الفقيه الحافظ شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَذهبُ أحمَدَ أحمَدُ مَذْهَبٍ)[3].

(١) جامع بيان العِلم وفضله (١/ ٧٦٩).

(٢) أصول السُّنة ص٢٠.

(٣) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ١١٨).

وقال محدِّث هذا الزمان العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحنابلة فيما علمت أقرب الناس إلىٰ السُّنة)[١].

وقال أيضًا: (مذهب الإمام أحمد أقرب المذاهب إلىٰ السُّنة)[٢].

وقال الشيخ عبد القادر بن بدران (ت١٣٤٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان أوسعهم معرفة بحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يعلم ذلك من أطلع علىٰ مسنده المشهور وأكثرهم تتبعًا لمذاهب الصحابة والتابعين، فلذلك كان مذهبه مؤيدًا بالأدلة السمعية، حتىٰ كأنه ظهر في القرن الأول لشدة اتباعه للقرآن والسُّنة)[٣].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مذهب الحنابلة أشد تمسكًا بمنطوق الكتاب العزيز، والسُّنة المطهرة ومفهومها)[٤].

(١) الإرواء (١/ ٩).
(٢) السلسلة الضعيفة تحت رقم ٩٤٤.
(٣) المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد ص٤٤.
(٤) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١٢٦٤).

وقال الفقيه محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أحسن المذاهب فيما نعلم من حيث اتباع السُّنة، مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[(١)].

وقال ابن عبد القوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في منظومته الشهيرة بالآداب:

فَكُلّ أتىٰ في الدِّين أَقْصىٰ اجتِهَادِهِ
وأَحْمَدُهُم في النِّقدِ مَذَهبُ أحْمَدِ

قال الشيخ العلامة المجاهد صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: مُعلِّقًا علىٰ هذا البيت ما نصه: (كل من الأئمة الأربعة أدىٰ أقصىٰ اجتهاده، فرحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا، كلٌ منهم ما قصّر في شيء يستطيعه، وأقرب المذاهب الأربعة إلىٰ الدليل هو مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[(٢)].

---

(١) التعليق علىٰ كتاب: الفتن والأحكام، من صحيح البخاري (١/ ب) شريط مسموع.
(٢) إتحاف الطلاب بشرح منظومة الآداب ص٩١٥.

قلتُ: ولِيُعلم إن المذاهب الفقهية السُنية الأربعة، لا تجدها تستغني عن أقوال السَّلف الصالح واختياراتهم الفقهية وفتاواهم، فلا تجد الحنابلة ولا الشافعية ولا الحنفية ولا المالكية، إلّا وفي الأصول والفروع أقوال للصحابة والتابعين بل وتابعيهم بإحسان أيضًا، يستنيرون بفهمهم وفقههم وعِلمهم وسلوكهم وكل ما يتعلّق بهم، وكتبهم ناطقة بذلك.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كُتب أرباب المذاهب مشحونة بنقل أقاويل الصحابة والاستدلال بها)[1].

(١) منهاج السُّنة (٣/ ٢٤١).

قلتُ: وأهل التحقيق والتدقيق من كبار العُلماء في كل مُذهب عند تقريرهم للمسألة وتحريرهم لها، سواءٌ كانت في العقيدة وأصول الدِّين أو الفقه أو التفسير أو غير ذلك من أبواب الدِّين في الأصول والفروع، أنهم يَستدلُّون أولًا بالقرآن ثُم بالحديث النبوي ثُم بأقوال الصحابة ثُم بالتابعين، هكذا علىٰ هذا الترتيب والنسق المتوالي.

وإذا رأيت مثلًا: الجامع الصحيح للإمام الفحل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُصدِّر تراجم كتبه وأبوابه فيه: بفقه السَّلف الصالح، وهكذا الشأن عند أصحاب السُنن لا سيّما الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهكذا الشأن عند أهل التفسير، والطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ خير شاهد، ومثله ابن كثير في تفسيره.

وغيرهم كثير حتىٰ في كتب الاعتقاد، فلو رأيت الشريعة للآجُرِّي أو الإبانة الكُبرىٰ لابن بطة وكذا اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، لرأيت هذا جليًّا، وقتها تعلم فضل فِقه السَّلف الصالح عند العُلماء والفقهاء وحرصهم الشديد عليه.

وهُنا قاعدة مُطردة: كُلما كان المذهب الفقهي أقرب للصحابة والتابعين كان أقوىٰ أثرًا وأعظم خَطرًا من غيره، والعكس بالعكس، وما ارتفع إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا بمثل ذلك.

قال المحقق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولـمّا بالغ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعنىٰ بالنسبة إلىٰ الصحابة أو من اهتدىٰ بهديهم، واستن بسنتهم، جعله الله تعالىٰ قدوة لغيره في ذلك، فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره، ويقتدون بأفعاله، ببركة اتباعه لمَن أثنىٰ الله ورسوله عليهم، وجعلهم قدوة)[١].

(١) الموافقات (٤/ ٤٦٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كُل من له لسان صدق من مشهور بعلمٍ أو دين، مُعترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم، ولا تجد إمامًا في العِلم والدِّين، كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم، إلا وهم مُصرّحون بأن أفضل عِلمهم، ما كانوا فيه مُقتدين بعِلم الصحابة، وأفضل عَملهم ما كانوا فيه مُقتدين بعَمل الصحابة، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب، والذين اتبعوهم من أهل الآثار النبوية وهم أهل الحديث والسُّنة، العالمون بطريقهم، المتبعون لها، وهم أهل العِلم بالكتاب والسُّنة في كل عصر ومصر، فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين، وهؤلاء لا يعرف طريقهم إلا من كان خبيرًا بمعاني القرآن، خبيرًا بسُّنة

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خبيرًا بآثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقيهًا في ذلك، عاملًا بذلك، وهؤلاء هم أفضل الخلق من المنتسبين إلىٰ العِلم والعبادة)[١].

وقال ابن بدران الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أصول فتاوىٰ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ما أفتىٰ به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ إذا وجد لبعضهم فتوىٰ لا يُعرف له مخالف منهم فيها، لم يتجاوزها إلىٰ غيرها، ولم يقل إن ذلك إجماع، بل من ورعه في العبارة يقول: لا أعلم شيئًا يدفعه أو نحو هذا، وكان إذا وجد هذا النوع عن الصحابة، لم يُقدم عليه عملًا ولا رأيًا ولا قياسًا، فكانت فتاواه لذلك من تأملها وتأمل فتاوىٰ الصحابة رأىٰ مطابقة كل منهما علىٰ الأخرىٰ، ورأىٰ الجميع كأنها تخرج من مشكاة واحدة، حتىٰ إن الصحابة إذا اختلفوا علىٰ قولين، جاء عنه في المسألة روايتان، وكان تحريه لفتاوىٰ الصحابة، كتحري

(١) العقيدة الأصفهانية ص١٦٥.

أصحابه لفتاواه ونصوصه بل أعظم، حتىٰ إنه ليُقدم فتاواهم علىٰ الحديث المرسل، قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ في مسائله: قلت لأبي عبد الله: حديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرسل، برجال ثبت، أحب إليك أو حديث عن الصحابة والتابعين، متصل برجال ثبت؟ فقال أبو عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن الصحابة أعجب إليّ، ومن ثم صارت فتاواه إمامًا وقدوة لأهل السُّنة علىٰ اختلاف طبقاتهم، حتىٰ إن المخالفين لمذهبه في الاجتهاد والمقلّدين لغيره، ليعظمون نصوصه وفتاواه، ويعرفون لها حقها وقربها من النصوص وفتاوىٰ الصحابة)[(١)].

قلتُ: فبهذا تُدرك عِظم فِقه السَّلف الصالح وأهميته وخطره، وعناية أهل العِلم به، وحرصهم الشديد عليه، ومنزلة من اقتدىٰ بهم بين العُلماء، فلا يُزهّد فيه إلا محروم، قد ضلّ عن سواء السبيل.

(١) المدخل إلىٰ مذهب الإمام أحمد (١/ ٥٠).

وقال أبو القاسم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وشعارُ أهل السُّنة اتباعُهم السَّلف الصالح، وتركُهم كل ما هو مبتدعٌ محدثٌ)[١].

وقال ابن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأمّا أصحابُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ لصُحبة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصرته وإقامة دينه، وإظهار حقّه، فرضيهُم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلامًا وقدوةً، فحفظوا عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلَّغهم عن الله عَزَّ وَجَلَّ، وما سنَّ وشرع وحكم وقضىٰ وندب وأمر ونهىٰ وحظر وأدّب، ووعوهُ وأتقنوه، ففقِهُوا في الدِّين، وعلموا أمر الله ونهيه ومُراده، بمعاينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله عَزَّ وَجَلَّ بما منَّ عليهم وأكرمهم به، من وضعه إياهم

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٩٥).

موضع القدوة، فنفىٰ عنهم الشك والكذب، والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، ففسر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الله عز ذكره قوله: ﴿وَسَطٗا﴾ قال: عدلًا، فكانوا عدول الأمة، وأئمة الهُدىٰ، وحُجج الدِّين، ونقلة الكتاب والسُّنة، وندب الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ التمسك بهديهم، والجري علىٰ منهاجهم، والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ الآية، ....، فخلف بعدهم التابعون الذين اختارهم الله عَزَّوَجَلَّ لإقامة دينه، وخصَّهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه، وأحكامه وسُنن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وآثاره، فحفظوا عن صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ما نشروه وبثُّوه من الأحكام والسُّنن والآثار، وسائر ما وصفنا الصحابة به رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، فأتقنوه وعلِموه وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدِّين ومراعاة أمر الله عَزَّوَجَلَّ ونهيه، بحيث

وضعهم الله عَزَّوَجَلَّ، ونصبهم له، إذ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ الآية، . . . . عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾، قال: التابعين، فصاروا برضوان الله عَزَّوَجَلَّ لهم، وجميل ما أثنىٰ عليهم، بالمنزلة التي نزههم الله بها عن أن يلحقهم مغمز، أو تدركهم وصمة لتيقظهم وتحرزهم وتثبتهم، ولأنهم البررة الأتقياء الذين ندبهم الله عَزَّوَجَلَّ، لإثبات دينه، وإقامة سُنته . . . . ، ثم خلفهم تابعو التابعين، وهم خلفُ الأخيار، وأعلام الأمصار في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ونقل سُنن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وحفظه وإتقانه، والعلماء بالحلال والحرام، والفقهاء في أحكام الله عَزَّوَجَلَّ، وفروضه وأمره ونهيه)(١).

(١) الجرح والتعديل (١/ ٧) بتصرف يسير.

وفي معرض ردّه علىٰ أهل الأهواء، قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان فضل الصحابة: (المعقول عندنا ما وافق هَديهُم، والمجهول ما خالَفهم، ولا سبيل إلىٰ معرفة هديهم وطريقتهم، إلا هذه الآثار، وقد انسلختم منها، وانتفيتُم منها بزعمكم، فأنىٰ تهتدون؟ ....، وإن الذي يريد الشذوذ عن الحق، يتّبع الشاذ من قول العلماء، ويتعلَّق بزلاتهم، والذي يَؤُمُّ الحق في نفسه، يتّبع المشهور من قول جماعتهم، وينقلب مع جمهورهم، فهما آيتان بيِّنتان يُستدل بهما علىٰ اتباع الرجل، وعلىٰ ابتداعِه)[١].

وقال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أن الحق الصريح الذي لا مِراء فيه عند أهل البصائر هو مذهبُ السَّلف، أعني: مذهب الصحابة والتابعين).

---

(١) الرد علىٰ الجهمية ص١٢٧ و١٢٩ بتصرف يسير.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن، فمن هذا الوجه رأىٰ العلماء الاقتداء بهم، والتمسك بآثارهم، .... فلا تغفل عن الصحابة، وعلو منصبهم، فقد أُجمع علىٰ تقدمهم، وأنهم لا يُدرك في الدِّين شأوهم، ولا يشق غبارهم، .... وإنما فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واعتلاق قلوبهم أمورًا أدركت بالقرائن، فسددهم ذلك إلىٰ الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة، إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ، .... وفضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ ترتيبهم في الخلافة، إذ حقيقة الفضل، ما هو فضل عند الله عَزَّوَجَلَّ، .... وقد ورد في الثناء علىٰ جميعهم آيات وأخبار كثيرة، وإنما يدرك

دقائق الفضل والترتيب فيه، المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل، فلولا فهمهم ذلك، لما رتبوا الأمر كذلك، إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف)[١].

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن أحببتَ يا عبد الله الإنصاف، فقِف مع نصوص القرآن والسُّنن، ثُم انظر ما قاله الصحابة والتابعون، وأئمةُ التفسير في هذه الآيات، وما حكوهُ مِن مذاهب السَّلف، فإما أن تنطق بعِلم، وإما أن تسكت بحلم)[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفهمُ أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الله، أولىٰ مِن فَهم من شذّ عنهُم من المتأخّرين)[٣].

وقال أيضًا: (هُم سادات الأمة، وقدوة الأئمة،

(١) هذا وما قبله في إلجام العوام عن علم الكلام ص٥٣، وإحياء علوم الدين (١/ ١٦ و٢٣ و٧٩ و١١٥) بتصرف يسير.
(٢) العلو ص٢٠.
(٣) زاد المعاد (٥/ ٥٨٠).

وأعلم الناس بكتاب ربهم تعالىٰ، وسُنة نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، ونسبة من بعدهم في العِلم إليهم، كنسبتهم إليهم في الفضل والدِّين، كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في جهتهم، والحق في جانبهم، من أقوىٰ الظنون، وهو أقوىٰ من الظن المستفاد من كثير من الأقيسة، هذا ما لا يمتري فيه عاقل مُنصف، وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السداد الذي لا رأيٰ سواه، وإذا كان المطلوب في الحادثة إنما هو ظنٌّ راجحٌ، ولو استند إلىٰ استصحاب، أو قياس علة، أو دلالة، أو شبه، أو عموم مخصوص، أو محفوظ مطلق، أو وارد علىٰ سبب، فلا شك أن الظن الذي يحصل لنا بقول الصحابي الذي لم يُخالف، أرجح من كثير من الظنون المستندة إلىٰ هذه الأمور أو أكثرها، وحصول الظن الغالب في القلب ضروري، كحصول الأمور الوجدانية، ولا يخفىٰ علىٰ العالم أمثلة ذلك)[١].

(١) إعلام الموقعين (٦/ ١٨).

وقال العلامة المحقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا كانت علوم الصحابة والتابعين، أصح من علوم من بعدهم، وأفصح، وأقل تكلّفًا فيما يروونه من المعاني)(١).

وقال ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أصحاب الحديث رُسل السفير صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الفقهاء المترجمون لما أراد السفير صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من معاني كلامه، ولا يتم اتّباع إلا بمنقول، ولا يتم فَهم المنقول إلا بترجمان، وما عداهما تكلُّف لا يُفيد، وإلىٰ هذين القسمين انقسم أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نقلةً وفقهاء)(٢).

(١) مقال له بتأريخ ٥/ ٤/ ١٣٥٧ هـ في صحيفة أم القرىٰ، كتاب: مقالات كِبار العلماء في الصحف السعودية القديمة (٣/ ٣٧٧).

(٢) نقل ذلك عنه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الجليل: درء التعارض (٨/ ٦٧)، ويقصد بأصحاب الحديث والفقهاء أي: من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهُم أصحاب القسمين المذكورين.

وقال قتادة بن دعامة السدوسي التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أثنىٰ الله علىٰ أصحاب نبيه محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنَ الثناءِ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، هؤلاء خِيارُ هذه الأُمة)(١).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الصحابة وأهل العِلم هم الوسائط بين الرسول وبين أمته في تبليغ سُنته ألفاظها ومعانيها، فالمُتّبع لهم في ذلك مهتد بأفهامهم، مُقتبس من أنوارهم، مُستفيد من استنباطاتهم للمعاني النافعة، والدقائق التي لا تكاد تخطر علىٰ أذهان كثير من أهل العِلم ولا تكاد الأفهام تُدركها)(٢).

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣٢٠).

(٢) التعليقات علىٰ الكافية الشافية ص٤٠٩، ط: مركز صالح الصالح الثقافي بعنيزة، بتأريخ ١٤١٢هـ.

وقال المحدث عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلّمي اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وحسبنا أنهم -أي: الصحابة- كانوا أعلم بالله ودينه وما لهم وعليهم، وأَتْبَع للحق وأحرص علىٰ النجاة من كلِّ من جاء بعدهم)(١).

وقال المحقق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن السَّلف الصالح من الصَّحابة والتابعين ومن يَلِيهم، كانوا أعرفَ بالقرآن وبعُلومه، وما أُودِعَ فيه).

وقال أيضًا: (الحذر الحذر مِن مُخالفة الأوَّلين، فَلَو كان ثمَّ فَضلٌ مَا، لَكان الأوَّلُونَ أحَقَّ بِهِ، . . . . فلهذا كُلِّهِ يجبُ علىٰ كُلِّ ناظر في الدَّليلِ الشَّرعي مُراعاةُ مَا فَهِمَ مِنهُ الأوَّلُونَ، ومَا كَانُوا علَيهِ في العَملِ بِه، فهُو أَحرَىٰ بِالصَّوابِ، وأقوَمُ في العِلمِ والعَملِ).

(١) الأنوار الكاشفة (١٢/ ٩٥)، ضمن مجموعة آثار المعلمي، ط: الراجحي الخيرية.

وقال في مسألة وهو يَعيب علىٰ من يعتمد فهم المتأخرين ويدع فهم المتقدمين: (وما توهَّمهُ المُتأخِّرُون من أنهُ دليلٌ علىٰ ما زعمُوا ليس بِدليلٍ عليه ألبتّة، إِذ لو كان دليلًا عليه، لم يعزُب عن فَهم الصَّحابة والتابِعين، ثُمَّ يفهمُهُ هؤُلاء، . . . . وفَهمُ الصَّحابة حُجَّة)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الجماعة هي الصحابة علىٰ الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدِّين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون علىٰ ضلالة أصلًا، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك، ألا ترىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: ولا تقوم الساعة علىٰ أحد يقول: الله الله، وقوله عليه الصلاة والسلام: لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الناس، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن من الأزمان أزمانًا يجتمعون فيها علىٰ ضلالة وكفر، قالوا: وممّن قال بهذا القول عُمر بن

(١) هذا وما قبله بتصرف يسير من الموافقات (٢/ ١٢٧)، (٣/ ٢٨٠ و٢٨٩)، (٥/ ٥٣).

عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فروىٰ ابن وهب، عن مالك قال: كان عُمر بن عبد العزيز يقول: سن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاة الأمر من بعده سُننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيها، من اهتدىٰ بها مُهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولّاه الله ما تولىٰ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا، فقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأعجبني عزم عُمر علىٰ ذلك، وكان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعجبه كلامه جدًا)(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سُنة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، سُنة يُعمل عليها، ويُرجع إليها، . . . . وذلك أن السَّلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنىٰ في علوم الخلاف الدائر بين الأئمة

(١) الاعتصام (٢/ ٢٦٢)، والموافقات (٤/ ٤٦١).

المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم، قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكِبر شأنهم في الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم، فضلًا عن النظر معهم فيما نظروا فيه)[١].

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أفضل العلوم في تفسير القرآن، ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام، ما كان مأثورًا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، إلىٰ أن يَنتهي إلىٰ زمن أئمة الإسلام المشهورين المُقتدىٰ بهم، .... فضبط ما رُوي عنهم في ذلك أفضل العِلم، مع تفهّمه وتعقّله والتفقه فيه، وما حدث بعدهم من التوسُع لا خير في كثير منه، إلَّا أن يكون شرحًا لكلام يتعلق بكلامِهم، وأمَّا ما كان مُخالفًا لكلامِهم، فأكثره باطل أو لا منفعة

(١) الموافقات (٤/ ٤٤٦ و٤٥٧).

فيه، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة، فلا يوجد في كلام من بعدهم من حقٍّ، إلَّا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطلٍ، إلَّا وفي كلامهم ما يُبيِّن بطلانه لمن فهمه وتأمله، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة، والمآخذ الدقيقة، ما لا يَهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به، فمن لم يأخذ العِلم من كلامهم، فاته ذلك الخير كُله، مع ما يقع في كثير من الباطل، متابعة لمَن تأخّر عنهم، ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلىٰ معرفة صحيحه من سقيمه، وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعِلل، فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك، ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عنده من ذلك، كما يرىٰ من قلّ عِلمه بذلك، لا يثق بما يُرویٰ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا عن السَّلف، لجهله بصحيحه من سقيمه، فهو لجهله يجوز أن يكون كله

باطلًا، لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه، . . . . وفي زماننا يتعيّن كتابة كلام أئمة السَّلف المُقتدىٰ بهم، إلىٰ زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عُبيد رحمهم الله، وليكن الإنسان علىٰ حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، . . . . فالعِلم النافع من هذه العلوم كلها، ضبط نصوص الكتاب والسُّنة، وفهم معانيها، والتقيُّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد، والرقائق، والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد علىٰ تمييز صحيحه من سقيمه أولًا، ثُم الاجتهاد علىٰ الوقوف في معانيه وتفهّمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعِلم النافع عني واشتغل)[١].

(١) بتصرف يسير من كتابه الجليل: فضل عِلم السَّلف علىٰ عِلم الخَلف ص٦٩.

وقال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إجماع أهل الإسلام كُلهم جنهم وإنسهم، في كل زمان وكل مكان، علىٰ أن السُّنة واجب اتباعها، وأنه ما سنهُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك اتفقوا علىٰ وجوب لزوم الجماعة، فاعلموا رحمكم الله أن من اتبع ما صحَّ برواية الثقات مُسندًا إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد اتبع السُّنة يقينًا، ولزوم الجماعة وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون لهم بإحسان، ومن أتىٰ بعدهم من الأئمة، وأن من اتبع أحدًا دون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يتبع السُّنة ولا الجماعة، وأنه كاذب في ادعائه السُّنة والجماعة، فنحن معشر المتبعين للحديث، المعتمدين عليه، أهل السُّنة والجماعة حقًا، بالبرهان الضروري، وأننا أهل الإجماع كذلك، والحمد لله رب العالمين)[١].

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ٤٩٥).

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة فقهية: (**وحُجة مالك ومن وافقه حديث ابن أبي أوفىٰ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اعتمر مع أصحابه ولم يحلوا، حتَّىٰ طافوا وسعوا بين الصفا والمروة، ولذلك أمر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أيضًا أبا موسىٰ الأشعري وقال له: طف بالبيت وبين الصفا والمروة وأحل، فوجب الاقتداء بسُنته واتباع أمره، وقد قال: خذوا عني مناسككم، وقد فهم الصحابة الذين تلقوا عنه السُّنة قولًا وعملًا هذا المعنىٰ).**

وفي حديث صدقة أبي طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ أقاربه:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه استعمال عموم اللفظ، ألا ترىٰ إلىٰ فهم الصحابة لذلك، وأنهم لم يتوقفوا حتىٰ يتبيَّن لهم بآية أخرىٰ، أو بسُنة مُبينة لمراد الله تعالىٰ في الشيء الذىٰ يجب أن ينفقه عباده، لأنهم يحبون أشياء كثيرة، فبدر كل واحد منهم إلىٰ نفقة أحب أمواله إليه، فتصدق أبو طلحة بحائطه)**[١].

(١) هذا وما قبله في شرحه علىٰ صحيح البخاري (٤/ ٤٤٩)، (٣/ ٤٨٢).

وقال الزركشي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة فقهية:

(ظاهره أن جواز الأكل مُرتب علىٰ عدم الإشارة ونحوها، وكذا فهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حيث قالوا: واللَّه لا نُعِينُك)[١].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة فقهية:

(قال أهل المدينة وسائر الحجازيين وأهل الحديث كلهم: كل مسكر خمر وحكمه حكم ما اتخذ من العنب، ومن الحجة لهم أن القرآن لمّا نزل بتحريم الخمر، فهم الصحابة وهم أهل اللسان أن كل شيء يُسمىٰ خمرًا يدخل في النهي، فأراقوا المتخذ من التمر والرطب، ولم يخصوا ذلك بالمتخذ من العنب).

(١) شرحه علىٰ مختصر الخرقي (٣/ ١٢٤).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال المبرد: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة رقة تبعث علىٰ استدعاء الرحمة، وتُعقّب بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾، وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالىٰ: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ﴾، حتىٰ سألوا عن كيفية الصلاة، مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وأقرَّهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فلو كانت الصلاة بمعنىٰ الرحمة، لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام)[١].

(١) هذا وما قبله في فتح الباري (١٠/ ٥٩)، (١١/ ١٨٧).

وقال المحدث العلائي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التابعين أجمعوا علىٰ اتباع الصحابة فيما ورد عنهم، والأخذ بقولهم، والفتيا به، من غير نكير من أحد منهم، وكانوا من أهل الاجتهاد أيضًا، . . . . ومن أمعن النظر في كتب الآثار، وجد التابعين لا يختلفون في الرجوع إلىٰ أقوال الصحابي، فيما ليس فيه كتاب، ولا سُنة، ولا إجماع، ثم هذا مشهور أيضًا في كل عصر، لا يخلو عنه مُستدل بها، أو ذاكر لأقوالهم في كُتبه)[(١)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد أثنىٰ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ أصحاب رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في القرآن، والتوراة، والإنجيل، وسبق لهم علىٰ لسان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفضل ما ليس لأحد

(١) إجمال الإصابة ص٦٦، **قلت**: لذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يكادُ يَجيءُ الشَّيءُ عن التابعينَ إلَّا ويُوجدُ فيه عن أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). مسائل أبي داود برقم (١٧٩٠).

بعدهم، فرحمهم الله، وهنّأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلىٰ منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدَّوا إلينا سُنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عامًا وخاصًا، وعَزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سُنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أَحمدُ، وأولىٰ بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا)[١].

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٤٢)، **قلت**: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عَوف للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يا أبا سعيد، أرأيتَ هذا الذي تُفتي فيهِ أَشيءٌ سمِعتَ فيهِ، أو شيءٌ تقولُ فيه برأيكَ؟ فقال: لا، ولَكِنَّهُ أُفتِي فيهِ برأيي، **ورأيي أفضلُ لهم مِن رأيهِم لأنفُسِهم**، وما كلُّ ما نُفتي بهِ سمِعناهُ). رواه الإمام آدم بن أبي إياس في كتابه: العِلم والحلم برقم (١٨١) ص١٤٨ وسنده صحيح، وجاء عند ابن سعد في الطبقات الكُبرىٰ (٧/ ١٦٥) بلفظ: (**ولكِن رأيُنَا خَيْرٌ لَهُم مِن رأيهِم لأنفُسِهِم**).

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصحابة أقرب إلىٰ الصواب، وأبعد من الخطأ، لأنهم حضروا التنزيل، وسمعوا كلام الرسول منه، فهُم أعلم بالتأويل، وأعرف بالمقاصد، فيكون قولهم أولىٰ)(١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَن أراد الاقتداء: فعليه برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ففي ذلك الشفاء والمطلوب، وعليك بالنظر في السَّرب الأول، فكُن مع السَّرب المتقدّم، وهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)(٢).

(١) روضة الناظر (١/ ٤٦٨).
(٢) بتصرف يسير من صيد الخاطر ص٦٠ و٢٤٠.

وقال الحافظ ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خير الناس قرنًا بعد التابعين، من لا يكون بينهم وبين أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا قرنًا واحدًا، وهم أتباع التابعين، الذين شافهوا من شافه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ حفظوا عنهم العِلم والآثار، وكثرت عنايتهم في جمع الأخبار، وأمعنوا في طلب الأحكام والتفقه فيها، وضبط أقاويل السَّلف فيما لم ترد فيه سُنة، مع الاستنباط الصحيح من الدلائل الواضحة في الأصول التي هي مفزع العالِم في الأحوال، ورد سائر الفروع إلىٰ ما تقدم من الأصول، حتىٰ حفِظ الله جل وعلا بهم الدِّين علىٰ المسلمين، وصانه علىٰ ثلب القادحين، وجعلهم أعلىٰ من يُقتدىٰ بهم في الأمصار، ويرجع إلىٰ أقاويلهم في الآثار).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خير الناس قرنًا بعد الصحابة، من شافه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحفِظ عنهم الدِّين والسُّنن).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خير الناس بعد أتباع التابعين، القرن الرابع: الذين شافهوهم وصحبوهم، وهم تبع الأتباع، الذين جدّوا في الرحل والأسفار، وأمعنوا في طلب العِلم والأخبار، وواظبوا علىٰ الدرس والمذاكرة، والحِفظ والمدارسة، ولم يقنعوا في جَمع السُّنن ببلدةٍ دون أخرىٰ، ولا بشيخ واحد دون الرّحلة في جميع الأمصار، والدوران في المُدن والأقطار، حتىٰ حفِظوا السُّنن علىٰ المسلمين، وصانوا عن ثلِب القادحين، فصاروا أعلامًا يُقتدىٰ بهم في الآثار، ويُرجع إلىٰ أقاويلهم في الأمصار)[1].

(١) هذا وما قبله في الثقات (٦/ ٢)، (٤/ ٣)، (٨/ ٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (جواز الفتوىٰ بالآثار السَّلفية، والفتاوىٰ الصحابية، وأنها أولىٰ بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن قُربها إلىٰ الصواب بحسب قرب أهلها من عصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله، وأن فتاوىٰ الصحابة أولىٰ أن يؤخذ بها من فتاوىٰ التابعين، وفتاوىٰ التابعين أولىٰ من فتاوىٰ تابعي التابعين، وهلم جرّا، وكلما كان العهد بالرسول أقرب، كان الصواب أغلب، وهذا حكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من المسائل، كما أن عصر التابعين وإن كان أفضل من عصر تابعيهم، فإنما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص شخص، ولكن المُفضَّلون في العصر المتقدم أكثر من المفضلين في العصر المتأخر، وهكذا الصواب في أقوالهم أكثر من الصواب في أقوال من بعدهم، فإن التفاوت بين علوم المتقدمين والمتأخرين، كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدِّين)[١].

(١) إعلام الموقعين (٥/ ٥٤٣).

وقال العلامة صالح بن محمد الفُلاني (ت ١٢١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اسم الفقيه عند السَّلف: إنما يقع علىٰ مَن عَلِم الكتاب والسُّنة، وآثار الصحابة، ومن بعدهم من علماء الأمة، وأما من اشتغل بآراء الرجال واتخذه دينًا ومذهبًا، ونبذ كتاب الله وسُنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقضايا الصحابة والتابعين وآثارهم من ورائه، فلا يُطلق عليه اسم الفقيه، بل هو باسم الهوىٰ والعصبية أولىٰ وأحرىٰ)[١].

(١) إيقاظ همم أولي الأبصار ص١٨٧، ط: الشيخ مشهور بن حسن نفع الله به.

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويَلزم أصحاب الحديث أن يعرفوا الصحابة، المُؤدين للدِّين عن نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُعنىٰ بسيرهم وفضائلهم، ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم، حتىٰ يقف علىٰ العُدول منهم من غير العدول، وهو أمر قريب كله علىٰ من اجتهد ....، ومن طلب الإمامة في الدِّين، وأحب أن يَسلك سبيل الذين جاز لهم الفُتيا، نظر في أقاويل الصحابة والتابعين والأئمة في الفِقه إن قدر علىٰ ذلك، نأمره بذلك كما أمرناه بالنَّظر في أقاويلهم في تفسير القرآن)[١].

وقال الإمام أبو نُعيم الفضل بن دُكين الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عليكم بالآثار، والعِلم ما كان عليه من مضىٰ من السَّلف)[٢].

---

(١) جامع بيان العِلم وفضله ص٤٤٠.

(٢) السُّنة للخلال (٢/٢٦/١٧٢١)، ط: عادل بن عبد الله آل حمدان الغامدي، **قلتُ**: لذلك لمّا قيل للإمام أيوب السختياني التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العِلمُ اليَومَ أكثرُ أم قلَّ اليَومَ؟! قال: الكلامُ اليَومَ أكثرُ، **والعِلمُ كان قبلَ اليوم أكثر**). ذكره الفسوي في المعرفة والتأريخ (٢/ ٢٣٢) بسند بصري صحيح.

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلموا أن الإسلام هو السُّنة، والسُّنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلَّا بالآخر، فمن السُّنة: لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع رِبقة الإسلام من عُنقه، وكان ضالًّا مُضلًّا، والأساسُ الذي تُبنىٰ عليه الجماعة: هم أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السُّنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلَّ وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، . . . . . . فالله الله في نفسك وعليك بالآثار وأصحاب الأثر والتقليد، فإن الدِّين إنما هو التقليد يعني: للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، ومن قبلنا لم يدعونا في لَبس فقلدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر)(١).

(١) شرح السُّنة ص٧ و٣٨.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدِّين والخُلق، ...... والأفضل للناس أن يتّبعوا طريق السَّلف في كُل شيء، ...... ومن نظر في سِيرة القوم -أي: الصحابة- بعلمٍ وبصيرة، وما منَّ الله به عليهم من الفضائل، علِم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأُمة التي هي خير الأُمم وأكرمها علىٰ الله تعالىٰ، .... وللصحابة فهمٌ في القُرآن يَخفىٰ علىٰ أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور من السُّنة وأحوال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا يعرفها أكثر المتأخرين، فإنهم شهدوا الرسول، والتنزيل، وعاينوا الرسول، وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله، ممّا يستدلون به علىٰ مُرادهم، ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك، .... فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أُمة محمد خير أُمة أُخرجت للناس،

وأولئك خير أُمة محمد، . . . . ولهذا كان معرفة أقوالهم في العِلم والدِّين وأعمالهم خيرًا وأنفع، من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم، في جميع علوم الدِّين وأعماله، كالتفسير، وأصول الدِّين وفروعه، والزُهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك، فإنهم أفضل ممّن بعدهم، كما دل عليه الكتاب والسُّنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العِلم والدِّين، خير وأنفع من معرفة ما يُذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيُمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يُحكم بخطأ قول من أقوالهم حتىٰ يعرف دلالة الكتاب والسُّنة علىٰ خلافه، . . . . فالعِلم المشروع، والنُسك المشروع، مأخوذ عن أصحاب رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٢٧)، ومجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٦٥) و(٣/ ١٥٦) و(١٩/ ٢٠٠) و(١٣/ ٢٤) و(١٠/ ٣٦٢).

وقال العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا كُلّما كانت الأُمّة أقدم كانت للصواب أقرب بلا شك).، يعني: قِدَم الزمان(١).

وقال الشيخ العلامة حمود بن عبد لله التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأما العِلم الموروث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتابعيهم وأئمة العِلم والهُدىٰ من بعدهم، فقد هجره الأكثرون، وقل الراغبون فيه والمعتنون به، وقد انصرفت هِمم الأكثرين إلىٰ الصحف والمجلات وما شاكل ذلك، ممّا كثير منه مشتمل علىٰ الجهل الصّرف الذي قد ظهر في زماننا وثبت فيه، وبُث في مشارق الأرض ومغاربها به غاية البث، ونث بين الخاصة والعامة غاية النث، وشغف به الكثير من الناس، وسمّوه العلم والثقافة والتقدم، ومن يعتني به هو المهذب المثقف عندهم!! وقد زاد الحمق والغرور ببعض السفهاء حتىٰ أطلقوا علىٰ المعتنين بالعلوم الشرعية اسم الرجعيين، وسموا كتب العِلم النافع الكتب الصفراء، تحقيرًا لها وتنفيرًا منها)(٢).

---

(١) الشرح الممتع (٤/ ٣٦١).

(٢) إتحاف الجماعة (٢/ ٩٤).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من بنىٰ الكلام في العِلم: الأصول والفروع علىٰ الكتاب والسُّنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد أصاب طريق النبوة، وكذلك من بنىٰ الإرادة والعبادة والعَمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية علىٰ الإيمان والسُّنة والهَدي الذي كان عليه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهُدىٰ، فتجد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا ذكر أصول السُّنة قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتَب كُتب التفسير المأثور عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين، وكَتب الحديث والآثار المأثورة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين، وعلىٰ ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه، حتىٰ قال في رسالته إلىٰ خليفة وقته المتوكل: لا أحب الكلام في شيء من ذلك، إلا ما

كان في كتاب الله أو في حديثٍ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الصحابة أو التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود، وكذلك في الزهد والرقاق والأحوال، فإنه اعتمد في كتاب الزهد، علىٰ المأثور عن الأنبياء صلوات الله عليهم، من آدم إلىٰ محمد، ثم علىٰ طريق الصحابة والتابعين، ولم يذكر من بعدهم، وكذلك وصفه لآخذ العِلم: أن يكتب ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم عن الصحابة ثم عن التابعين)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من ظن أنه يأخذ من الكتاب والسُّنة بدون أن يَقتدي بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويتبع غير سبيلهم، فهو من أهل البدع والضلال)[٢].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٦٣).

(٢) مُختصر الفتاوىٰ المصرية، ط: دار الكتب العلمية، ص٥٥٦.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رأيُ الأوزاعيِّ، ورأيُ مالكٍ، ورأيُ سُفيان كُلُّهُ رَأيٌ، وهو عندي سَواءٌ، وإنَّما الحُجَّةُ في الآثار)[1].

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أفقه الناس وأعلمهم هُم أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2].

وقال الشيخ الفاضل صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي العتيبي حفظه الله: (الآثار المذكورة عن الصَّحابة مِن أنفع ما يكون للعبد بعد كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها من ينابيع العِلم ما يُصلِح الأقوال والأفعال والأحوال، فلا ينبغي للطالب أن يزهدَ فيها، وليعلم أنَّ مُنتهىٰ أَمَلِه من تحصيل أصول عِلمه: أن تُبَلِّغه فَهم كلام الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإنِّه ينتفع بِهذا انتفاعًا عظيمًا)[3].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٨٠).
(٢) الروح ص٨١.
(٣) شرح الغُرر من موقوف الأثر ص١٦٣.

وتأمل فيما صحَّ عن الصحابي الجليل والعالِم النبيل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: (لا يزالُ الناسُ صَالحين مُتمَاسِكين ما أتاهُم العِلمُ مِن أصحابِ مُحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومِن أكابرِهم، فإذا أتاهُم مِن أصاغرِهم هَلكُوا)[١].

(١) رواه الإمام عبد الرزاق في مصنفه فقال: أخبرنا مَعمر (ابن راشد)، عن أبي إسحاق (عَمرو السبيعي)، عن سَعيد بن وَهب (الهَمداني الخَيواني)، قال: سمِعتُ عبد الله بن مسعود يقول . . .، (١٠/ ٢٩١/ ٢١٥٥٧)، ط: دار التأصيل، وقال الحافظ الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا علي بن عبد العزيز (ابن المرزبان البغوي)، ثنا أبو نُعيم (الفضل بن دُكين)، ثنا سُفيان (الثوري)، عن أبي إسحاق، عن سَعيد بن وهب، عن عبد الله قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهُم العِلمُ من أصحاب مُحمدٍ ﷺ، ومِن أكابرهم، فإذا جاء العِلمُ مِن قِبَل أصاغرهم فذاك حينَ هلكُوا، وسنده حسن، وصحّحه العلامة حمود التويجري في إتحاف الجماعة (٢/ ١٠٥).

قال الفقيه أبو عُبيد القاسم بن سَلّام البغدادي (ت ٢٢٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والذي أرىٰ أنا في الأصاغر: أن يُؤخذ العِلمُ عمّن كان بعدَ أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُقدَّم ذلك علىٰ رأي الصحابة وعِلمِهم، فهذا أخذُ العِلم عَن الأصاغر، ولا أرىٰ عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أراد إلّا هذا)[(١)].

قلتُ: فما أكثر الآخذين عن الأصاغر في زماننا هذا!!!

وقال شيخ الإسلام الحافظ الكبير إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي (ت ٢٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيما ثبت عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا يزالون بخيرٍ ما أتاهُم العِلمُ مِن قِبَلِ كُبرائهِم:

(١) غريب الحديث (٤/ ٢٦١)، ط: مجمع اللغة العربية بمصر.

معناه: أنَّ الصَّغير إذا أخذ بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابةِ والتابعينَ فهُو كبيرٌ[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَن يزال الناسُ بخيرٍ ما أتاهُم العِلمُ مِن قِبَلِ أكابرِهِم، وذَوِي أسلافِهِم، فإذا أتاهُم مِن قِبَلِ أصاغرِهِم هلَكُوا)[(٢)].

وقال العلامة الكبير ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأتباع السُّعَدَاء نوعان: أتباعٌ لهم حكمُ الاستقلال، وهُم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، فهؤلاء هم السُّعداء الذين ثبت لهم

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة للالكائي (١/ ٩٥/ ١٠٣).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٢٤٤/ ٨٥٩١) وسنده صحيح.

رِضَىٰ الله عنهم، وهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكُل من تبعهم بإحسان، وهذا يَعُمُّ كل من اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة، ولا يختصُّ ذلك بالقرن الذين رأوهم فقط، وإنما خُصَّ التابعون بمن رأىٰ الصحابة تخصيصًا عُرفيًا، ليتميزوا به عمَّن بعدهم، فقيل: التابعون مُطلقًا لذلك القرن فقط، وإلّا فكُل من سلك سبيلهم فهو من التابعين لهم بإحسان، وهو ممّن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، وقيَّد سبحانه هذه التبعية بأنها تبعية بإحسانٍ، ليست مُطلقة فتَحصُل بمجرد النّسبة والاتباع في شيء والمخالفة في غيره، ولكن تبعية مُصاحبةٌ للإحسان، فإن الباء هُنا: للمصاحبة.

والإحسان في المتابعة شرطٌ في حصولِ رِضَىٰ الله عنهم وجنّاتِه، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فالأولون هم الذين أدركوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبوه، والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم كل من بَعْدَهم علىٰ منهاجهم إلىٰ يوم القيامة، فيكون التَّأخُّر وعَدَمُ اللَّحاق بهم في الزمان.

وفي الآية قول آخر: إنّ المعنىٰ لم يلحقوا بهم في الفَضْل والمرتبة، بل هُم دونهم فيكون عدم اللَّحاق في الرتبة.

والقولان كالمتلازمَيْنِ: فإنَّ مَن بعدَهم لا يلحقون بهم، لا في الفضل ولا في الزمان، فهؤلاء الصنفان هم السُّعَداء)[١].

---

(١) الرسالة التبوكية ص٥٩، وكلمته هذه عظيمة جدًا لمن عقلها، ونظيرها قول ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ التالي.

وسُئل العلامة الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما المقصود بالسَّلف؟! فأجاب: (السَّلف معناه المتقدمون، فكُل متقدم علىٰ غيره فهو سلف له، ولكن إذا أُطلق لفظ السَّلف فالمراد به القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، هؤلاء هم السَّلف الصالح، ومن كان بعدهم وسار علىٰ منهاجهم فإنه مثلهم علىٰ طريقة السَّلف، وإن كان مُتأخرًا عنهم في الزمن، لأن السَّلفية تطلق علىٰ المنهاج الذي سلكه السَّلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أمتي ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة،كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة. وفي لفظ: من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي. وبناء علىٰ ذلك تكون السَّلفية هنا مقيدة بالمعنىٰ، فكُل من كان علىٰ منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فهو سَلَفي، وإن كان في عصرنا هذا وهو القرن الرابع عشر بعد الهجرة)[١].

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (١/ ٣٥)، وهذه نظير ما سبقها من كلمة للعلامة المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الحافظ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (ت ٤٩٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقد أخبر الله تعالىٰ عنهم -أي: الصحابة- بأكثر منه في غير موضع من كتابه، وبيَّن عدالتهم وأزال الشُّبه عنهم، وكذلك أخبر به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بالرجوع إليهم، والأخذ عنهم، والعمل بقولهم مع عِلمه بما يكون في هذا الزمان من البدع، واختلاف الأهواء، ولم يأمر بأن يُتمسّك بغير كتاب الله وسُنته وسُنة أصحابه رضوان الله تعالىٰ عليهم، ونهانا عن ما ابتدع خارجًا عن ذلك، وعما جاوز ما كان عليه هو وأصحابه، فواجب علينا قبول أمره فيما أمر، وترك ما نهىٰ عنه وزجر، وعلىٰ هذا الأمر كان العلماء والأئمة فيما سلف، إلىٰ أن حدث من البدع ما حدث)[١].

(١) مُختصر الحُجة علىٰ تارك المحجة (١/ ١٥٩)، تحت باب: الأمر باتباع الصحابة والسلف الصالح رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين.

وقال علامة اليمن الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والمذهب الحق الذي لا يتمذهب به إلا أهل التوفيق: هو ما كان عليه السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين)[١].

وقال المؤرخ المقريزي (ت٨٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأصل كلّ بدعة في الدِّين، البُعد عن كلام السَّلف، والانحراف عن اعتقاد الصّدر الأوّل)[٢].

وقال المحدث العلائي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حضروا التَّنزِيل، وفهموا كَلَام الرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واطّلعوا علىٰ قَرَائِن القضايا، وما خرج عليهِ الكلَام من الأسبَاب والمحامل الَّتي لا تُدرك إلَّا بالحضور، وخصَّهم الله تعالىٰ بالفهم الثاقب، وحِدّة القرائح، وحُسن التَّصَرُّف، لما جعل الله فيهم من الخشية والزهد والورع، إلىٰ غير ذلك من المناقب الجليلة، فهُم أعرف بالتأويل، وأعلم بالمقاصد، فيغلب علىٰ الظَّن مُصادفة أقوالهم وأفعالهم الصَّوَاب أَو القُرب مِنهُ، والبُعد عن الخطأ، هذا ما لا ريب فِيهِ فيتَعَيَّن المصير إلىٰ أقوالهم)[٣].

(١) نثر الجوهر علىٰ حديث أبي ذر ص١٣٠.
(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(٤/ ١٩٨).
(٣) إجمال الإصابة ص٦٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويُقال للطريقة السَّلفية: الطَّريقةُ المُثلىٰ)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السَّلف، ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السُّنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٢].

قلتُ: وشعار أهل الأثر الأخذ بأخبار السَّلف الصالح، كما قال الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صفة أهل السُّنة: الأخذُ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأحاديثِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحاديث الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين)[٣].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٩).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٥).
(٣) مختصر الحُجة علىٰ تارك المحجة لنصر بن إبراهيم المقدسي (٢/ ٣٥٨).

وقال ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والصواب في جميع مسائل النزاع ما كان عليه السَّلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وقولهم هو الذي يدل عليه الكتاب والسُّنة والعقل الصريح)[١].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يُبيِّن فضلهم: (فإن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يتكلم بكلام من كلام العرب يستعمله في معنىٰ هُوَ أخص من استعمال العرب، أو أعم مِنْهُ، ويتلقىٰ ذلكَ عَنْهُ حملة شريعته من الصَّحابة، ثُمَّ يتلقاه عنهم التابعون، ويتلقاه عنهم أئمة العلماء، فلا يجوز تفسير ما ورد في الحديث المرفوع إلّا بما قاله هؤلاء أئمة العلماء الذين تلقوا العِلم عمن قبلهم، ولا يجوز الإعراضُ عن ذلك والاعتمادُ علىٰ تفسير من يُفسّر ذلك اللفظ بمجرد ما يفهمه من لغة العرب، وهذا أمر مهم جدًا، ومن أهمله وقع في تحريف كثير من نصوص السُّنة، وحملها علىٰ غير محاملها، والله الموفق)[٢].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٢٠٥).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٤٣).

وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما قلَّت الآثار في قوم، إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلَّت العُلماء، إلا ظهر في الناس الجفاء)(١).

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإنما ظهرت البدع والفتن لمّا خفيت آثار الصحابة، فإنهم خير قرون هذه الأمة وأفضلها، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم)(٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذلك من بعدهم من العُلماء ورثة الأنبياء وأئمة المتقين، . . . . وكان أسعدُ الناس بهذه الوراثة أصحابَ الكتاب والآثار المأخوذةِ عن سيّد المرسلين، وهم أهل القرآن والحديث، الباحثين في كلّ باب في العِلم عن آثار

(١) ذم الكلام وأهله للهروي برقم ٨٨٢.
(٢) جامع المسائل (٥/١٥٨).

الصحابة والتابعين، العالمين بصحيحه وعليله، الفاهمين بمنطوقِه ودليلِه، السالكين سبيلَ السابقين، الذين أخبرَ بهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول: يَحمِلُ هذا العِلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهَلين، وكانوا هم أئمةَ الإسلام الذين هم قدوةُ المؤمنين، .... ولن يتِمَّ الدِّينُ إلاّ بمعرفةِ الآثار النبوية والسَّلَفية، وفِقْه لما قَصَدُوه من المعاني الدينية، كما كان علماء السَّالفين)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الدِّين من المسلمين والسَّلفِ الماضين، هو ملاك الدِّين)[٢].

وقال أيضًا الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصحابة أعلم بمعاني كتاب الله ممّن بعدهم)[٣].

(١) جامع المسائل (٥/ ٤٠ و٤١) بتصرف.
(٢) جامع المسائل (٣/ ٣٠٩).
(٣) نظرية العقود ص٦٠.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وانظر في عموم كلام الله ورسوله لفظًا ومعنىٰ حتىٰ تُعطيه حقه، وأحسن ما تستدل به علىٰ معناه: آثار الصحابة الذين كانوا أعلم بمقاصده، فإن ضبط ذلك يوجب توافق أصول الشريعة وجريها علىٰ الأصول الثابتة)[1].

وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكفىٰ بالصحابة قدوةً في فهم معنىٰ القرآن، فهم أول مُخاطب به من الأمة، وبلسانهم نزل، وهم أخص من غيرهم من أهل اللّسان، وهم أخبر بمعنىٰ القرآن ممّن جاء بعدهم)[2].

(١) القواعد النورانية ص١٦٠.

(٢) التنبيه علىٰ مشكلات الهداية (٣/ ١١٣٥) بتصرف.

وقال العلامة الكبير محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي هذا العمل تتفاوت مراتبُ الفقهاء، وترىٰ جميعَهم لم يستغنوا عن استقصاء تصرّفات الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن استنباط العلل، وكانوا في عصر التابعين وتابعيهم يشُدُّون الرحالَ إلىٰ المدينة ليتبصّروا من آثار الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعماله وعمل الصحابة ومن صحبهم من التابعين، هنالك يَتبيَّنُ لهم ما يدفع عنهم احتمالاتٍ كثيرة في دلالات الألفاظ، ويتضحُ لهم ما يُستنبَط من العِلل تبعًا لمعرفة الحِكَم والمقاصد)[١].

وكان من وصايا الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأحدهم: (وأنا أُوصيك بواحدةٍ، فإنها تجلو الشكَّ عنك، وتصيب بالاعتصام بها سبيل الرشد إن شاء الله: تنظر إلىٰ ما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الأمر)[٢].

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية ص٢٠٤، ط: دار النفائس بالأردن.
(٢) الإبانة الكُبرىٰ لابن بطة (١/ ٨٦٣)، ط: عادل الحمدان الغامدي نفع الله به.

وقال العلامة المحدث الفقيه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وإنّ مما يجب أن يُعلم أن التمسُّك بما كانوا عليه -أي: الصحابة- هو الضمان الوحيد للمُسلم أن لا يضل يمينًا ولا شمالًا، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلًا عن الفِرق الضالة)[(١)].

وقال المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سمعتُ أبا عبد الله -أحمد بن حنبل- يصف كيف يُؤخذُ العِلم، قال: ننظُر ما كانَ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم يكن فعن أصحابه، فإن لم يكن فعن التابعين)[(٢)].

(١) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩)، حاشية رقم ٢.

(٢) الآداب الشرعية لابن مُفلح (٢/ ٥٨).

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من لم يأخذ معاني الكتاب والسُّنة من الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم، لم يكن له طريق أصلًا، إلا ما يرد عليه من الآفات أضعاف ما يرد علىٰ هذه الطريق، فلا يجوز له ترجيح غيرها عليها، فيكون أحد الأمرين لازمًا لهُ: إما أن يَستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، ويعدل عن الطريق التي فيها من العلوم اليقينية، والأمور الإيمانية، والاعتقادات الراجحة، والظنون الغالبة، ما لا يوجد في غيرها، إلىٰ ما هو دونها في ذلك كُله، بل يَستبدل باليقين شكًا، وبالظن الراجح وهمًا، ويَستبدل بالإيمان كُفرًا، وبالهُدىٰ ضلالة، وبالعِلم جهلًا، وبالبيان عِيًّا، وبالعدل ظُلمًا، وبالصِدق كذبًا، وبالإيمان بكُتب الله وبكلماته، تحريفًا عن مواضعها)[(١)].

(١) جواب الاعتراضات المصرية ص١٩.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كُل من له لسان صدق من مشهور بعلمٍ أو دين، مُعترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم، ولا تجد إمامًا في العِلم والدِّين، كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم، إلا وهم مُصرّحون بأن أفضل عِلمهم، ما كانوا فيه مُقتدين بعِلم الصحابة، وأفضل عَملهم ما كانوا فيه مُقتدين بعَمل الصحابة، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب، والذين اتبعوهم من أهل الآثار

النبوية وهم أهل الحديث والسُّنة، العالمون بطريقهم، المتبعون لها، وهم أهل العِلم بالكتاب والسُّنة في كل عصر ومصر، فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين، وهؤلاء لا يعرف طريقهم إلا من كان خبيرًا بمعاني القرآن، خبيرًا بسُّنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خبيرًا بآثار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقيهًا في ذلك، عاملًا بذلك، وهؤلاء هم أفضل الخلق من المنتسبين إلىٰ العِلم والعبادة)[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: مَنشأ كُل عِلم، وصلاح، وهُدىٰ، ورحمة في الإسلام)[٢].

(١) العقيدة الأصفهانية ص١٦٥.

(٢) منهاج السُّنة (٦/ ٢٤٨).

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أفهام الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فوق أفهام جميع الأمة، وعلمهم بمقاصد نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقواعد دينه وشرعه، أتمّ من عِلم كُل من جاء بعدهم)[١].

وقال القرافي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال بعض الأصوليين: لو لم يكُن لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعجِزةٌ إلَّا أصحابه، لكفَوهُ في إثبات نُبوّتِه)[٢].

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (صحابته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خيار البشر، ومصابيح الأنام)[٣].

(١) الطرق الحكمية (١/ ٣٢٤).

(٢) الفروق (٤/ ١٧٠)، وهذه كلمة جليلة خطيرة عظيمة لمن عقلها وفهمها بحق.

(٣) أعلام رسول الله ﷺ المنزلة علىٰ رُسُله في التوراة والإنجيل والزبور، ص٢٦٤، الطبعة الأولىٰ ١٤٤١هـ: دار الصميعي للنشر.

وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا لم يكُن في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نظرت في أقاويل أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا أخرُجُ عن قولِهِم إلىٰ قَولِ غَيرِهِم)[١].

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد ثَبت وجوب اتِّبَاع السَّلف رحمة الله عَليهِم بالكتاب، والسُّنة، والإجماع)[٢].

وفي مناظرة الشافعي لمحمد بن الحسن في المفاضلة بين العُلماء رحمهما الله: (حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد بن الحسن: أيُّهما أعلمُ، صاحبُنا أم صاحبُكم؟ يعني: أبا حنيفة ومالك بن أنس.

قلت: علىٰ الإنصاف؟

قال: نعم.

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص١٤٣.
(٢) ذم التأويل ص٣٥.

قلت: فأنشدك الله، من أعلمُ بالقرآن صاحبُنا أو صاحبُكم؟

قال: صاحبُكم. يعني مالكًا.

قلت: فمن أعلمُ بالسُّنة صاحبُنا أو صاحبُكم؟

قال: اللهُم صاحبُكم.

قلت: فأنشدك الله، من أعلمُ بأقاويل أصحابِ رسول الله ﷺ والمتقدِّمين، صاحبُنا أو صاحبُكم؟

قال: صاحبُكم.

قال الشافعي: فقلتُ: لم يَبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلَّا علىٰ هذه الأشياء، فمَن لم يَعرف الأصول فعَلىٰ أيِّ شَيء يَقيس؟!

قال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذه الحكاية: فقد قَدَّم محمد بن الحسن مالك بن أنس علىٰ أبي حنيفة، وأقرَّ لهُ بفضلِ العِلم بالكتاب والسُّنة والآثار، وقد شاهدَهما، ورَوىٰ عنهما)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكُل قول قيل في دين الإسلام، مُخالف لما مضىٰ عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل)[٢].

وقال العلامة الحافظ عبد الله بن داود الهمداني (ت ٢١٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ليس الدِّينُ بالكلام، إنّما الدِّينُ بالآثار)[٣].

(١) مُقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ص٦٦، ط: دار الناشر المتميز، ت: محمد الصومعي البيضاني نفع الله به.
(٢) منهاج السُّنة (٥/ ١٨٣).
(٣) تهذيب الكمال (١٤/ ٤٦٣).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالسعيد من تمسّك بما كان عليه السَّلف، واجتنب ما أحدثه الخلف)[١].

وقال التابعي الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا تغتر بقولك: المرء مع من أحبَّ، إنه من أحبّ قومًا اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتىٰ تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسُنتهم، وتُصبح وتُمسي وأنت علَىٰ مِنهاجهم، حريصًا أن تكون منهم، وتسلك سبيلهم، وتأخذ طريقهم، وإن كُنت مُقصرًا في العمل، فإن مَلاكَ الأمرِ أن تكون علَىٰ استقامة، أما رأيت اليهود والنصارىٰ وأهل الأهواء المردية، يُحبّون أنبياءهم ليسوا معهم، لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلَكوا غير طريقتهم، فصار مأواهم النار، نعوذ بالله من النار)[٢].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٥٠).

(٢) الحِكَم الجديرة بالإذاعة لابن رجب، ضمن مجموع رسائله (١/ ٢٥٣).

وقال الفقيه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (علىٰ كلِّ مَن انتسبَ إلىٰ الدِّين بقولٍ أو عملٍ، أن يكون مُتّبِعًا للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، مُقتديًا بهم)[(١)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حُبهم -أي: الصحابة- سُنّةٌ، والدُّعاء لهم قُربة، والاقتداء بهم وَسيلةٌ، والأخذُ بآثارِهم فَضيلةٌ)[(٢)].

وكانت من وصايا الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَليك بالآثارِ والحديث، إنّما أُمِرنَا أن نأخُذ العِلم مِن فَوق)[(٣)].

(١) جامع المسائل (٧/ ١٩٣).

(٢) طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلىٰ الفرّاء (١/ ٦٤)، ط: عبد الرحمن بن سليمان العُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلىٰ الفرّاء (٢/ ٣٩٢)، ط: عبد الرحمن بن سليمان العُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونظيرها تمامًا كلمة شيخه الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: (وكان اتِّباعُهُم أولىٰ بنا مِن اتِّباع مَن بَعدَهُم، .... **وإنَّما يُؤخذُ العِلم مِن أعلىٰ**). رواه البيهقي في معرفة السُّنن والآثار (١/ ١٨٣).

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن كُنت من المرابطين المراقبين لنفسك، أن تُطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين، لينبعث نشاطك، ويزيد حرصك، وإياك أن تنظر إلىٰ أهل عصرك، فإنك إن تُطع أكثر من في الأرض يُضلُّوك عن سبيل الله، وحكايات المجتهدين غير محصورة، وإن أردت مَزيدًا، فعليك بالمواظبة علىٰ مُطالعة كتاب: حلية الأولياء، فهو مُشتمل علىٰ شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم رحمهم الله، وبالوقوف عليه، يَستبين لك بُعدك، وبُعد أهل عصرك من أهل الدِّين!!!)[١].

(١) إحياء علوم الدِّين (٤/٤١٦).

وقال الحافظ ابن عبد البر المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: هُم أولو العِلم والدِّين والفضل، وخير أُمة أُخرجت للناس، وخير القرون، ومَن قد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأخبر بأنهم رضوا عنه، وأثنىٰ عليهم بأنهم الرحماء بينهم الأشداء علىٰ الكفار، الركع السجد، وأنهم الذين أوتوا العِلم، قال مجاهد وغيره في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾، قال: أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلىٰ كثير من ثناء الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، واختياره إياهم لصحبة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[١].

(١) التمهيد (٢/٢٧٦).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها، علىٰ أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لمّا سمع بعض الصحابة ذلك قال: ما كنت أشدّ اجتهادًا مني الآن، وهذا مما يدل علىٰ جلالة فقه الصحابة، ودقة أفهامهم، وصحة علومهم)[١].

وقال يحيىٰ بن إبراهيم الأزدي السلماسي (ت ٥٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجمعوا علىٰ أن أفضل الناس الأنبياء والرُسل، وأفضل الناس بعد الرُسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أصحابهم، وأفضل أصحابهم: أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

(١) شفاء العليل (١/ ١١٩).

(٢) منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، ص١٣٦.

وكانت من وصايا الإمام الكبير سُفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قال: (تعلَّمُوا هذه الآثار، فمَن قال برأيهِ فقُل رأيي مِثلُ رأيِكَ)[١].

وتأمل معي ما قاله سعيد بن إياس الجريري البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عَوف للحسن البصري: يا أبا سعيد، أرأيتَ هذا الذي تُفتي فيهِ أَشيءٌ سمِعتَ فيهِ، أو شيءٌ تقولُ فيه برأيكَ؟ فقال: لا، ولَكِنَّهُ أُفتِي فيهِ برأيي، ورأيي أفضلُ لهم مِن رأيهِم لأنفُسِهم، وما كلُّ ما نُفتي بهِ سمِعناهُ)[٢].

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٦٧).

(٢) رواه الإمام آدم بن أبي إياس في كتابه: العِلم والحلم برقم (١٨١) ص١٤٨ وسنده صحيح، وجاء عند ابن سعد في الطبقات الكُبرىٰ (٧/ ١٦٥) بلفظ: (ولكِن رأيُنَا خَيْرٌ لَهُم مِن رأيهِم لأنفُسهِم)..

وقال عبد الله بن مُسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورضي الله عنهم: هم مصابيح الأرض، وقادة الأنام، ومُنتهىٰ العِلم)[(١)].

وقال العلامة الأديب المصري مُصطفىٰ الرافعي (ت ١٣٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا فصاحة ولا لُغة إلَّا بالحرص علىٰ القرآن والحديث وكُتب السَّلف وآدابهم)[(٢)].

(١) تأويل مشكل القرآن (١/ ١٤٨).

(٢) تحت راية القرآن ص١٩، وقد أفادني بهذا النقل النفيس الأخت الكريمة والطالبة النجيبة: رغدة بنت محمد بن مَديد العُبيدي الموصلية حفظها الله ونفع بها.

وقال الفقيه صالح بن كيسان المدني التابعي (ت ١٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اجتمعت أنا والزُّهري، ونحن نطلب العِلم، فقلتُ: نكتب السُّنن، فكتبنا ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه، فإنَّهُ سُنَّةٌ، فقلتُ له: إنها ليس بسُنة، فلا نكتبه، قال: فكتبه، ولم نكتبه، فأنجح وضيّعنا)[١].

وقال عُروة بن رُويم اللَّخمي الشاميُّ التابعي (ت ١٣٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تحدّثُوا عنهم، يعني: السَّلف)[٢].

(١) تأريخ الحافظ أبي زرعة الدمشقي برقم (٩٦٦) ص١٨٨ وسنده صحيح.
(٢) تأريخ أبي زُرعة الحافظ الدمشقي برقم (٥٩٢) ص١٣٢ وسنده دمشقي صحيح، أي: بذِكر أخبارهم وفضائلهم وعلومهم ونشرها بين الناس.

وقال عبيد الله بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يُذكر عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه سُئل مرةً عن فُتيا، فأحسن الإجابة فيها، فقال له رجلٌ: والله يا أبا بكر لأحسنتَ الفُتيا فيها أو القول فيها، قال: كأنّه يقولُ: ما كانت الصحابةُ لتُحسن أكثر من هذا، فقال محمدٌ: لو أردنا فِقهَهُم لما أدركتهُ عقُولُنا)[١].

وقال الإمام الحافظ سُفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عليكَ بالأمرِ الأوَّل والتَّمسُّكِ به)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قول الصحابة أولىٰ مِن قول مَن بعدهُم وأحقُّ أن يُتَّبَعَ)[٣].

وقال أيضًا غفر الله له: (والخير كل الخير في اتباع السَّلف الصالح)[٤].

(١) حلية الأولياء لأبي نُعيم (٢/ ٢٦٣).

(٢) مقدمة الجرح والتعديل للرازي ص٢٢٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢١/ ٥٧٤).

(٤) الفتاوىٰ (٦/ ٥٠٥).

وقال أيضًا غفر الله له: (اجتهادات السَّلف من الصحابة والتابعين كانت أكمل من اجتهادات المتأخرين، وأن صوابهم أكمل من صواب المتأخرين، وخطأهم أخف من خطأ المتأخرين)(١).

وقال أيضًا غفر الله له: (إن الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأُمة التي هي خيرُ أمة أُخرجت لِلناس، وهم تلقَّوُا الدِّينَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا واسطة، ففهِموا مِن مقاصِدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعاينوا مِن أفعالِهِ، وسمِعوا مِنه شِفاهًا، ما لم يحصل لِمن بعدَهم، وكذلك كان يستفيد بعضُهم مِن بعض ما لم يحصل لِمن بعدَهم، وهم قد فارقوا جميعَ أهل الأرض، وعادَوهم، وهجروا جميعَ الطوائف وأديانَهم، وجاهدوهم بأنفسِهِم وأموالِهِم)(٢).

(١) منهاج السُّنة (٦/ ٨٠).

(٢) الجواب الباهر في زوّار المقابر ص٢٦٠.

وقال أيضًا غفر الله له: (فمن ظنّ أن مَن بعد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، من يكون أكمل في علم أو دين أو خُلُق، فقد غلط وضلَّ، . . . . فلا أحد أعلمُ بالدِّين ولا أتبعُ له منهم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وليس من القرون أعلم بالله من قَرنهم)[١].

وقال أيضًا غفر الله له: (وأصحابُ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كانوا -مع أنهم أكملُ الناس عِلمًا نافعًا وعملًا صالحًا- أقلَّ الناس تكلُّفًا، تصدرُ عن أحدهم الكلمةُ والكلمتان من الحكمة أو من المعارف، ما يهدي الله بها أُمّة، وهذا مِن منن الله علىٰ هذه الأمة)[٢].

وقال أيضًا غفر الله له: (فإن معرفة مُراد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومُراد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: هو أصل العِلم، وينبوع الهُدىٰ)[٣].

(١) جامع المسائل (٧/ ١٨٦ و١٩٧).
(٢) الانتصار لأهل الأثر ص١٩٨.
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٤١٣).

وقال أبو شامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولىٰ من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا نظر إلىٰ كثرة أهل الباطل بعدهم)[1].

وقال أبو مَعمر إسماعيل بن إبراهيم الكرخي القطيعيُّ (ت ٢٣٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أصحاب محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الناس بعد رسول الله، لو جاء مَن بعدهم بأمثال الجبال من الأعمال لكانوا أفضل منه)[2].

وقال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأئمة الإسلام كلهم علىٰ قبول قول الصحابي)[3].

(١) الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث ص٢٣.
(٢) السُّنة للخلال (١/ ٣٥٥) برقم ٦٤٩.
(٣) إعلام الموقعين (٥/ ٥٥٤).

وقال أيضًا غفر الله له: (رأي أفقه الأمة، وأبرِّ الأمة قلوبًا، وأعمقهم عِلمًا، وأقلهم تكلّفًا، وأصحهم قُصُودًا، وأكملهم فِطرة، وأتمهم إدراكًا، وأصفاهم أذهانًا، الذين شاهدوا التنزيل، وعَرَفوا التأويل، وفَهِمُوا مقاصد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلىٰ ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنسبتهم إلىٰ صحبته، والفرق بينهم وبين مَن بعدهم في ذلك، كالفرق بينهم وبينهم في الفضل، فنسبة رأي مَن بعدهم إلىٰ رأيهم، كنسبة قَدرهم إلىٰ قَدرهم)[١].

وقال أيضًا غفر الله له: (الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أفقهُ الأُمَّة وأعلمُهُم بمقاصِدِ الشَّرع وحُكمِهِ)[٢].

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٤٩).

(٢) الطرق الحكمية (٢/ ٥٣١).

وقال الإمام المبجل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن رغِب عن فعلِ أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والمهاجرين والأنصار، فليس هو من الدِّين في شيءٍ)[١].

وقال أيضًا: (أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يُدانيهم أحد، أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يُقاربهم أحد)[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قول أحمد في الرجوع إلىٰ قول التابعين عام في التفسير وغيره)[٣].

وقال العلامة صدِّيق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن لم يوجد قول من الصحابي فيُعتمد علىٰ أقوال التابعين)[٤].

---

(١) الورع للمروذي برقم (٣٨٩) ص١١٧.
(٢) السُّنة للخلال (١/ ٣٥٥) برقم ٦٤٩.
(٣) المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٦٩).
(٤) أبجد العلوم (٢/ ٤٩٨).

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (التابعي مِن أهل الاجتهاد عِندَ حدُوث الحادثة فوجب أن يُعتَدَّ بقوله، كأصاغر الصحابة)[١].

وقال الإمام أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العِلمُ عندنا ما كان عن الله تعالىٰ مِن كتابٍ ناطِق، ناسخٍ غير مَنسُوخ، وما صحَّت الأخبارُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لا مُعارِض لهُ، وما جاءَ عن الأَلِبَّاء مِن الصحابة ما اتَّفقُوا عليه، فإذا اختلفُوا لم يخرُج من اختِلافِهم، فإذا خفي ذلك ولم يُفهَم فعَن التابعين، فإذا لم يُوجد عن التابعين، فعَن أئمَّة الهدىٰ مِن أتباعِهم)[٢].

وقال الشيخ العلامة المجاهد صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: (أفضل أُمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُم القرن الذين عاصروا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا بإجماع الأُمة، وفضلُ الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأنّهم أفضلُ

(١) الفقيه والمتفقه (١/ ٤٣٠).

(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٤٣٢).

الأُمّة، بل أفضل الناس علىٰ الإطلاق، وفضلُ السَّلف علىٰ الخلف، وأنّ السَّلف بما فيهم القرون المفضَّلة، أفضل من الخلَف في العِلم وفي العمل، وفي السَّمت والأخلاق، ففي هذا ردٌّ علىٰ من يقول: طريقة السَّلف أسلم، وطريقة الخلَف أحكم، بل: طريقة السَّلف أسلم وأعلم وأحكم من طريقة الخلَف، لأن الرسول ﷺ أثنىٰ عليهم وذمّ مَن يأتي بعدَهم، وإنّما ينجوا مَن جاء بعدَهم باتّباعِه لهم واقتدائه بهم، فلا يسلم من الخلَف إلّا مَن تمسّك بهدي السَّلف وسار علىٰ نهجهم، أمّا مَن خالفهم فإنّه يهلِك، فيكون: السَّلف أعلم وأسلم وأحكم)[١].



(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/٣٨٦ و٣٩٥).



من السُّنة الأخذ بعِلم السَّلف الصالح

أطلق جماعة من العُلماء المحققين رحمهم الله علىٰ أقوال وأفعال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أنها من السُّنة، والأخذ بها والعمل بها يكون من السُّنة، مِصداقًا للحديث المرفوع: (عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين).

وثبت في مُسند أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: أن الوليد بن عُقبة القُرشي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: (لم أترك سُنة عُمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ).

وفي مُصنف ابن أبي شيبة رَحِمَهُٱللَّهُ: قال الخليفة الصالح عُمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله رحمهما الله: (اكتُب إليَّ بسُنَّةِ عُمر).

وقال رُفيع بن مِهران أبو العالية الرِّياحيُّ التابعي الكبير (ت ٩٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تعلَّمُوا الإسلام، فإذا علِمتُمُوهُ فلا ترغبُوا عَنهُ، وعليكُم بالصِّراط المستقيم، فإنَّ الصِّراط المستقيم الإسلامُ، ولا تحرِفُوهُ يمينًا وشِمالًا، وعليكُم بسُنَّةِ نبيِّكُم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحَابِهِ)[1].

وقال الحافظ الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما سنَّه الخلفاء الراشدون من بعده، فالأخذ به ليس إلا لأمرِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأخذ به، فالعمل بما سنّوه والاقتداء بما فعلوه هو لأمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا بالعمل بسُنة الخلفاء الراشدين، والاقتداء بأبي بكر وعُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولم يأمرنا بالاستنان بسُنة عالم من عُلماء الأمة، ولا أرشدنا إلىٰ الاقتداء بما يراه مجتهد من المجتهدين)[2].

(١) أي: وسُنة أصحابِهِ، والواو عاطفة علىٰ سُنَّة، رواه الحافظ عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٣٨٤/ ٢١٨٣٥) وسنده بصري صحيح.

(٢) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ص٢٨.

وقال العلامة بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ مُعاذًا قد سَنَّ لكُم سُنّةً كذلك فافعلُوا: (وفيه دليل علىٰ إطلاق السُنَّة لغير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يُقال: سُنَّة العُمرين، وهذا سُنَّة معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)[١].

وقيل للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تقُولُ لمثل قولِ أُبيٍّ، ومُعاذٍ، وابن مسعود: سُنَّةٌ؟ قال: ما أدفعهُ أن أقُول، وما يُعجبُني أن أُخالِفَ أحدًا مِنهُم، . . . . وما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فخُذ بِهِ)[٢].

(١) شرح سُنن أبي داود (٢/ ٤٤٤).

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني برقم (١٧٩٢)، (١٧٩٣).

وقال العلامة الفقيه أبو الحسن الميمونيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سمعت أبا عبد الله -أحمد بن حنبل- وسُئل عن أصحاب الرأي يُكتب عنهم الحديث؟ فقال: وما تصنع بالرأي! وفي الحديث ما يُغنيك عنه، أهل الحديث أفضل مَن تكلَّم في العِلم، عليك بحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رُوي عن أصحابه أبي بكر وعُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فإنّه سُنَّةٌ)[1].

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الأحاديث الموقوفات علىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقد جعلها كثيرٌ مِن الفُقهاء بمنزلة المرفوعات إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في لُزوم العمل بها، وتقديمها علىٰ القياس وإلحاقها

(١) تهذيب الكمال للمزي (١٧/ ٤٣٧).

بالسُّنن، وقال صالح بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اجتمعت أنا وابن شهاب -الزُّهري- ونحن نطلب العِلم، فاجتمعنا علىٰ أن نكتب السُّنن، فكتبنا كل شيءٍ سمعنا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقلتُ أنا: لا ليس بسُنةٍ، فقال: بلىٰ هو سُنَّةٌ، قال: فكتب ولم أكتُب، فأنجحَ وضيَّعت، -قال الخطيب- وأما المقاطيع فهي الموقوفات علىٰ التابعين، فيلزم كتبها والنظر فيها، لتتخيّر من أقوالهم، ولا تشُذ عن مذاهبهم)[١].

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٠-١٩١)، وأثر الزُّهري وابن كيسان رواه الحافظ الكبير أبي زُرعة الدمشقي في تأريخه برقم (٩٦٦) ص١٨٨ وسنده صحيح.

وقال الحافظ السِّجزي (ت ٤٤٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أهل السُّنة: هم الثابتون علىٰ اعتقاد ما نقله إليهم السَّلف الصالح رحمهم الله، عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أئمة، وقد أُمرنا باقتداء آثارهم، واتباع سُنّتهم، وهذا أظهر من أن يُحتاج فيه إلىٰ إقامة برهان)[1].

ومن نافلة القول: قد بوّب الحافظ نصر بن إبراهيم أبو الفتح المقدسي (ت ٤٩٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه: مختصر الحجة علىٰ تارك المحجة، فقال: (باب وجوب اتباع سُنَّة الأئمة الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ).

(١) رسالته إلىٰ أهل زَبيد ص٥٩.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقد أخبر الله تعالىٰ عنهم -أي: الصحابة- بأكثر منه في غير موضع من كتابه، وبيَّن عدالتهم وأزال الشُبه عنهم، .... ولم يأمر بأن يُتمسّك بغير كتاب الله وسُنته وسُنة أصحابه رضوان الله تعالىٰ عليهم)[١].

وبوّب الإمام الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم الشريعة قائلًا: (الحث علىٰ التمسُّك بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُنة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ). اهـ

(١) بتصرف يسير من مُختصر الحُجة علىٰ تارك المحجة (١/ ١٥٩)، تحت باب: الأمر باتباع الصحابة والسَّلف الصالح رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين.

وقال أيضًا الإمام محمد بن الحُسين الآجُرِّي (ت ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسُنن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وسُنن أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، ومن تبعهم بإحسان)[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعليكم بالسُّنن عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وسُنن أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وقول التابعين)[(٢)].

وقال العلامة المحقق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ويُطلق أيضًا لفظُ السُّنة علىٰ ما عَمِلَ عليه الصحابة، وُجِد ذلك في الكتاب أو السُّنة أو لم يوجد، لِكونِهِ اتِّباعًا لسُّنةٍ ثبتت عندهم لم تُنقل إلينا، أو اجتهادًا مُجتمعًا عليه منهم، أو مِن خُلفائِهم، فإنَّ إجماعَهُم إجمَاعٌ)[(٣)].

(١) الشريعة (١/ ٥٣)، تحقيق: عادل بن عبد الله آل حمدان نفع الله به، ط: دار اللؤلؤة اللبنانية.
(٢) الشريعة (١/ ٢٥٤)، تحقيق: عادل بن عبد الله آل حمدان نفع الله به، ط: دار اللؤلؤة اللبنانية.
(٣) الموافقات (٤/ ٢٩٠).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سُنة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، سُنة يُعمل عليها، ويُرجع إليها، . . . . وذلك أن السَّلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنىٰ في علوم الخلاف الدائر بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم، قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلّا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكِبر شأنهم في الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم، فضلًا عن النظر معهم فيما نظروا فيه)[١].

قلتُ: والرجوع لفقه السَّلف الصالح في زماننا هذا أمر ضروري، والحاجة ماسّة إليه جدًا، إذا أردنا الرِّفعة في الدِّين والدُّنيا.

(١) الموافقات (٤/ ٤٤٦ و٤٥٧).

كما قال وهب بن كيسان القُرشي المعلِّم التابعي (ت ١٢٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يُصلِحُ آخِر هذا الأمر إلَّا ما أصلَحَ أوَّلَهُ)(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إنَّ أعظمَ ما عُبِدَ الله بهِ نصيحةُ خلقِهِ، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه)(٢).

قلتُ: ومن أعظم النصيحة في زماننا إرشاد العباد لفقه سلفهم الصالح، خيار خلق الله بعد الأنبياء والرُّسل، ونشر عِلمهم في البلاد وبين العباد، ونشر فضائلهم وأخلاقهم وسلوكهم وآدابهم، لينشأ الأطفال علىٰ هذه العلوم الرفيعة والآداب الجليلة عن سلفهم الصالح المبارك.

(١) مُسند الموطأ للحافظ الإمام عبد الرحمن الجوهري (ت ٣٨١هـ) برقم (٩٨٥)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٠) مُسندًا أيضًا.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٦١٥).

ويتخلّص الآباء من ربقة التقليد الأعمىٰ للغرب الكافر، الذي هو من أمراض هذا العصر وشروره، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

السَّلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ هم نواة كل خير إلىٰ قيام الساعة، وبهم مُلِئت الأرض عِلمًاوعدلًا وعبادة وخيرًا، ولولاهم لما وصل الدِّين إلينا، فاللهم إني أُشهدك علىٰ حبّهم والتقرّب إليك بمودتهم وموالاتهم ونصرتهم.





من أصول الاعتقاد: الأخذ بآثار السَّلف

كان الإمام المبجل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (أصول السُّنة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحابُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع)(١).

قلتُ: قد جعل جماعة من العُلماء رحمهم الله اتباع منهج السَّلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وجعلوه علامة فارقة بينه وبين المخالفين من أهل الأهواء والبدع والضلالات.

قال الإمام محمد بن سيرين الأنصاري التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كانوا يرون أنهُ علىٰ الطريق ما كان علىٰ الأثر)(٢).

(١) أصول السُّنة ص٢٠.

(٢) مُسند الدارمي برقم (١٤٢) وسنده صحيح.

وبوّب الإمام الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم الشريعة قائلًا: (الحث علىٰ التمسُّك بكتاب الله تعالىٰ، وسُنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُنة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ). اهـ

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فواجبٌ علىٰ كلِّ مُسلم أن يتبع سُنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعملوا أشياءَ إلَّا بسُنته، وسُنة الخلفاء الراشدين بعده: أبو بكر، وعُمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وكذا لا يخرج عن قول صحابته رحمة الله عليهم، فإنه يُرشَد إن شاء الله)[1].

وقال أيضًا الإمام محمد بن الحُسين الآجُرِّي (ت ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسُنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُنن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن تبعهم بإحسان)[2].

(١) الأربعون حديثًا(١/٥٧٣)، ط: دار اللؤلؤة، بتحقيق: عادل بن عبد الله آل حمدان الغامدي نفع الله به.

(٢) الشريعة (١/٥٣)، تحقيق: عادل بن عبد الله آل حمدان نفع الله به، ط: دار اللؤلؤة اللبنانية.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعليكم بالسُّنن عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُنن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقول التابعين)[١].

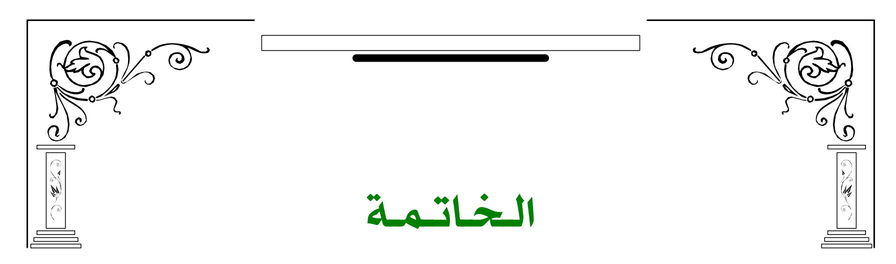
وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلو فعل إنسانٌ فِعلًا كان لهُ فيه قُدوةٌ بأحدٍ مِن أصحاب رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان علىٰ الطَّريق المستقيم، ومَن فعل فِعلًا يُخالِفُ فيه الصَّحابة، فنعُوذ بالله مِنهُ، ما أسوأَ حالهُ)[٢].

قلتُ: ولا يخلو كتابٌ من كُتب العقيدة إلّا ويذكر هذا الأصل العظيم، وهو اتباع نهج السَّلف الصالح في القول والعمل والسير علىٰ منهاجهم.



(١) الشريعة (١/ ٢٥٤)، تحقيق: عادل بن عبد الله آل حمدان نفع الله به، ط: دار اللؤلؤة اللبنانية.

(٢) الشريعة (٢/ ٥٢٤)، وكتاب الشريعة للآجُرِّي من أعظم كتب أهل السُّنة والجماعة في بيان الاعتقاد السّلفي الخالص، ونقل أقوال السَّلف الصالح في ذلك، وهو بمنزلة صحيح البخاري بالحديث، وبمنزلة كتاب الكتاب لسيبويه والعين للخليل في علوم العربية، وكل من جاء بعد الآجُرِّي أخذ عنه واستفاد منه.



الخاتمة

قال الحافظ القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته الشهيرة:

قُل: إنَّ خيرَ الأنبياءِ مُحمدٌ
وأجلَّ مَن يمشِي علىٰ الكُثبانِ
وأجلَّ صحبِ الرُّسلِ صحبُ مُحمدٍ
وكذاكَ أفضلُ صحبِهِ العُمرانِ

قال العلامة الشيخ صالح بن سعد السحيمي حفظه الله: (نعم، أجلُّ صحبِ الرُّسل صَحبُ مُحمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإجماع المسلمين الذين يُعتدّ بإجماعهم، بل جعلهم الله شهداء علىٰ تبليغ الرُّسل لأممهم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾، وفي الصحيح أن نبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالىٰ هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا،

ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمته، فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، والوسط العدل، وقد زكاهم الله ورضي عنهم، وتوفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راضٍ، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم صفوة أتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أجمع المسلمون علىٰ عدالتهم وأنهم صفوة هذه الأُمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرنهم خير القرون، وأن الله قد خصّهم بخصائص عظيمة جليلة، ولا تكاد تجد كتابًا من كتب العقيدة إلّا وفيه بيان فضائل الصحابة)[١].

والحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) القطوف الدواني شرح نونية القحطاني (١/ ٣٠٥ و٣٢٧) بتصرف يسير.



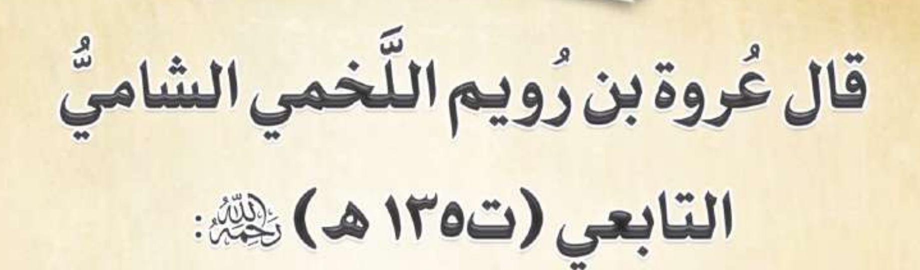
الفهارس

الموضوع	الصفحة



قال عُروة بن رُويم اللَّخمي الشاميُّ

التابعي (ت١٣٥ هـ) رحمه الله:



يعني: السَّلف»

أي: بذِكر أخبارهم وفضائلهم وعلومهم

ونشرها بين الناس

[تأريخ أبي زُرعة الحافظ الدمشقي برقم (٥٩٢) وسنده دمشقي صحيح]

ضمن مشروع

تقريب فقه السلف للخلف

٢٠ / ٦ / ١٤٤٣هـ

-مدينة حائل-

سلسلة من الآثار السّلفية الصحيحة



تأليف

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي
سلمه الله

الجزء الأول
١ - ٤١٥

أوقاف أم عادل بنت خلف الأسلمية
غفر الله لها
غرة شهر صفر ١٤٤٣هـ - مدينة حائل -

سلسلة من الآثار السّلفية الصحيحة



الفنون

من آثار وأخبار خير

القرون

تأليف

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي
سلمه الله

الجزء الثاني

٤١٦ — ٥١٦

أوقاف أم عادل بنت خلف الأسلمية غفر الله لها

غرة شهر ربيع الآخر ١٤٤٣هـ

- مدينة حائل-


٣
الفُنُون
مِنْ آثَارِ وأخْبَارِ
خَيْرِ القُرُونِ
تأليف وجمع
عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري
سلّمه الله
الجزء الثالث
٥١٧ - ٦٠٠
أوقاف أم عادل بنت خلف الأسلمية حفظها الله